قرية لوبيه

الجليل - فلسطين

د.محمود عيسى

التاريخ _الثقافه_الهوية_الذاكرة

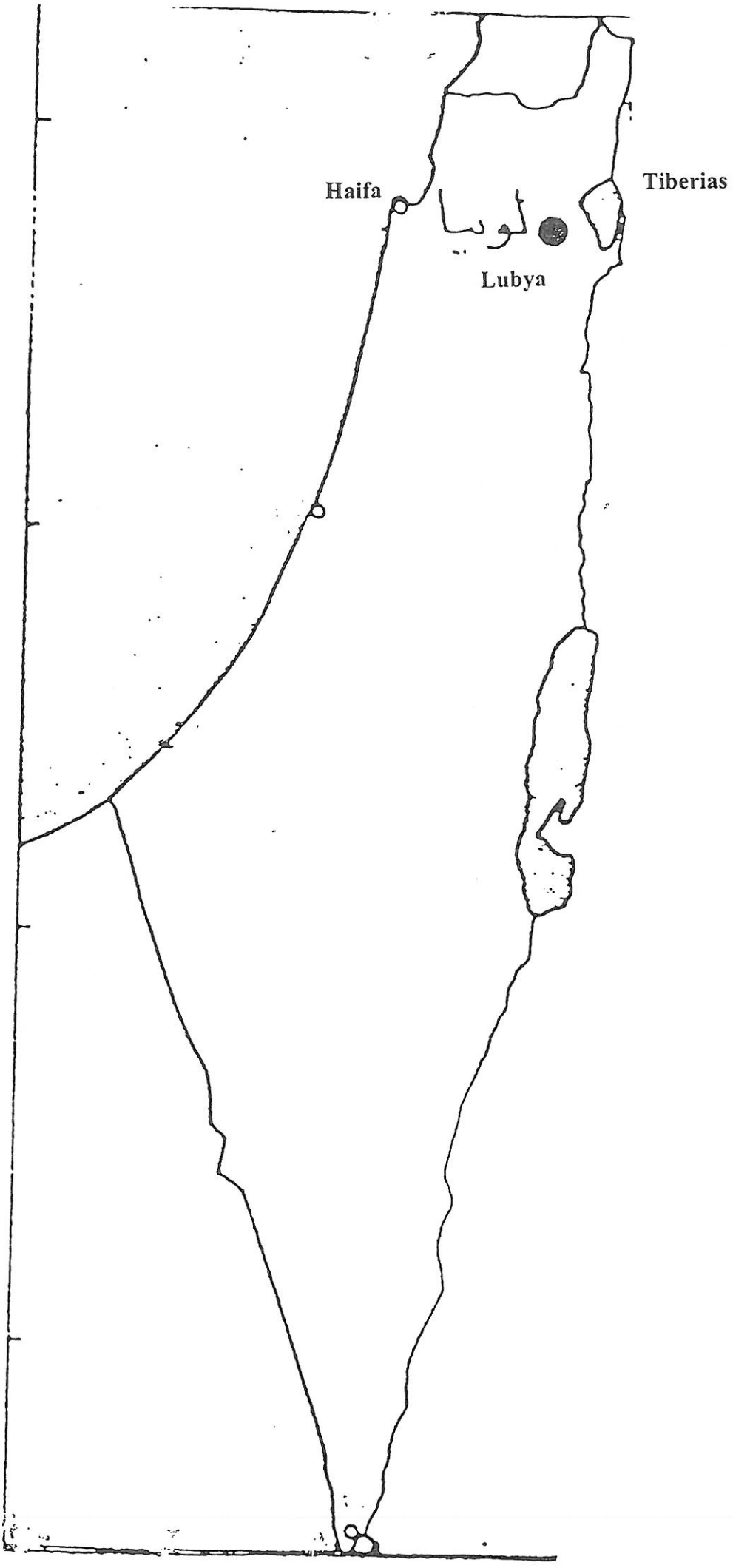
Haifa
Tiberias
لوبيا
Lubya

A view of Lubya from the air 1945. The road in the photo connects Nazareth & Tiberias

لوبية

مقدمة (١٩٠٧ك)

"أن يكون المرء حرًّا لا يعني أن يتخلص من قيوده فحسب، بل عليه أن يعيش بأسلوب يحترم ويدعم حرية الآخرين."

(نلسون مانديلا)

بعد سنوات عديدة قضيتها في بحار روايات جوزيف كونراد العاصفة، وجدت الوقت قد حان لأطأ أرض بلدي لوبية، قرية والداي الواقعة شمال فلسطين -- إسرائيل اليوم. فهناك كان من المفترض أن أولد واترعرع قبل خمسين عاما.

لقد بدأت تنبض لدي فكرة البحث عن تاريخ لوبية منذ زمن بعيد وأنا ما زلت مقيماً في مخيم ويفل للاجئين في البقاع اللبناني. كان أهلي قد وصلوا إلى هناك مع آلاف اللاجئين عام ١٩٤٨، احتماءً من ويلات الحرب، وعاشوا رغم البرد القارس في خيمة قدمها لهم الصليب الأحمر. وفي ذلك العام توفيت زوجة أبي الأولى وتوفي ولدها والعديد من الأطفال اللاجئين.

كنا نحسب أننا عائدين عمّا قريب. وكانت الأمم المتحدة تعاود التأكيد على حقنا في العودة كل عام. لكن المنفى كان يطول عاما بعد عام، ولم تُجد المعروضات والاحتجاجات المتكررة نفعًا. كان لنشأتي في المخيم أثر كبير في نفسي، إذ بدأت منذ صغري أتساءل: لماذا نحن هنا؟ لماذا كل شيء هنا مؤقت؟ لماذا يرفض والدي شراء ثلاجة أو جهاز تلفزيون أو ماكنة غسيل؟ لماذا لا نتمتع بنفس الحقوق مع الناس الذين نعيش بينهم، كالحق في العمل والحق في المواطنة المتساوية؟ كيف نعامل بغير ما يعاملون رغم أننا ننطق اللغة ذاتها ونتمي للتاريخ ذاته؟ من أين نحن؟

وحين بلغت السابعة والعشرين من عمري كنت قد أُبعدت من عدّة بلدان عربية وسجنت لفترات وجيزة، ذلك ببساطة لأني أجهرت علنا بانتمائي إلى وطني فلسطين وبرغبتي وحقي في العودة إلى قريتي لوبية. وبعد سنوات عديدة من المنفى في شتى البلدان وصلت الدنمرك. هناك، بعيداً آلاف الاميال عن بلدي الأصلي، أصبحت لاجئا أجنبيا يواجهه دومًا سؤال: من أين أنت؟ لم ولم يكن يكفي بالطبع جوابٌ بسيط من قبيل: أنا من لوبية أو من فلسطين.

جميع هذه الأسئلة، وكذلك قصص لوبية التي سمعتها من أفراد عائلتي، وسياسة التمييز الحكومية ضد اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، وحياة التنقل القسري بين بلد وآخر، شجعتني على زيارة لوبية. وكانت الزيارة الأولى في العام 1994، تسنّت لي بعد حصولي على المواطنة الدنمركية. لقد سقط من وثائقي الجديدة، بخلاف وثائق اللجوء، اسم بلدي الأصلي، لكني أصبحت الآن قادرا بفضلها أن أزور بلدي، ولو كسائح!

ثم عدت للزيارة ثانية في العام التالي مصطحبا معي والداي وطاقم تصوير دنمركي أراد إعداد فيلم وثائقي عن تاريخ القرية. وقد عُرض الفيلم فيما بعد على التلفزيون الدنمركي بعنوان "**أرض الأجداد**". ثم قمت بعدها بإعداد ورقة بحثية عن اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الدنمرك. هاتان التجربتان، بالإضافة الى قلّة المعلومات وتعطشي لمعرفة قريتي، دفعتاني إلى خوض هذه التجربة في استكشاف تاريخ لوبية الدفين. فالحاجة، كما يقولون، أم الاختراع.

التاريخ المحلي

كان يعيش في لوبية حوالي ثلاثة آلاف فلسطيني، هجروا جميعاً في العام 1948، ووجد بعضهم ملجأً في القرى والبلدات المجاورة داخل اسرائيل اليوم، أما الأغلبية فتشتت فيما وراء الحدود. يُقدّر عدد لاجئي لوبية اليوم بأربعين ألف لاجئ، موجودين في مناف قسرية لا يقلّ عددها عن ثلاثة وعشرين.

لقد نُشرت، كما هو معروف، مئات الكتب عن تاريخ الفلسطينيين وعن النكبة التي حلّت بهم عام 1948، لكنّ أصوات الفلسطينيين الذين عاشوا وما زالوا يعيشون هذا التاريخ ظلت، فيما عدا بعض الاستثناءات، غائبة على نطاق واسع. ولا يختلف وضع لوبية عن غيرها من القرى المدمرة، إذ دُفنت القصص الشخصية لرجالها ونسائها وأطفالها ومسنيها، الذين اضطروا على مغادرتها اتّقاءً لويلات الحرب، دفنت تحت الرواية الإسرائيلية المنتصرة. ولم تكن قصة الفلسطينيين فريدة، فهذا ما حدث مع ملايين البشر خلال حروب القرن العشرين ونزاعاته الأهلية الدامية.

لم يحظَ اللاجئون الفلسطينيون وقراهم وبلداتهم ومدنهم وتواريخهم الغنية بالاهتمام من قبل الاسرائيليين، إلا فيما ندر. ذلك متعلّق بالطبع بكونهم يقوضون الادعاءات الصهيونية حول ملكية الارض، ويعقدون تسوية الصراع. ولذا عملت دولة إسرائيل منذ إقامتها وبشكل مبرمج على إضفاء تاريخها الحصري على أماكنهم، وبدا أنّ طردهم من المكان لن يكتمل ما لم تتحقق أمنية اختفائهم من التاريخ. عبّر عن هذا التعزيم المزدوج، وبكل فجاجة،

تعليقٌ لوزير الخارجية الاسرائيلي حول مصير ما يقارب مليون لاجئ فلسطيني بعد الحرب· قال: "سينجح الأقوى من بين النجاة، وأصحاب أفضل مقدرة على التأقلم، في عملية انتقاء طبيعي· أما الآخرون فسيندثرون· البعض سيموتون، والبقية ستتحول الى غبار بشري، إلى طبقة رثاث منبوذة، تلتحق على الاغلب بالطبقات المعدومة في البلدان العربية·"

بعد إخلاء مئات القرى الفلسطينية من سكانها وتدميرها قامت اسرائيل ببناء مستوطنات يهودية على أراضيها· فأقيمت في العام 1949 مستوطنة لاقي، وفي العام 1992-1993 أقيمت مستوطنة اخرى باسم چڤعات اڤني على الطرف الشرقي من أراضي القرية وغرس حرش من الصنوبر على باقي الأرض· قام بغرس الحرش الصندوق القومي اليهودي بدعم مالي قدمته منظمة النساء الصهيونيات في جنوب افريقيا، وأطلق عليه اسم "حرش جمهورية جنوب افريقيا"·

هكذا منع أهل لوبية، كما منع غيرهم من اللاجئين والمهجرين في الداخل، من العودة إلى قريتهم واستملاك أراضيهم من جديد· لكنّ ممارسات التهجير والتدمير والاستلاب والنفي هذه لم تنجح جميعها في محو ذاكرة القرية· فهي ما زالت محفوظة لدى أولئك الذين ولدوا فيها وأبنائهم وأحفادهم· إن معظم هؤلاء لم يروا القرية أبدا، لكنّ نبضها الحي ما زال ينتقل إليهم من خلال روايات الآباء والأجداد· لا تهدف هذه الروايات إلى إسكات أولئك الذين نفوهم عن ديارهم؛ إنّها فقط تفكّ شِفرة أكثر من خمسة عقود من التهميش والإنكار·

ثمة دور هام للقصص الشخصية للرجال والنساء والأطفال، أو ما أطلق عليه هنا "التاريخ المحلي"، في الحفاظ على، وإعادة تركيب وتفسير تاريخ الشعوب المنسية والمهمّشة· ففي معظم الأحيان، لا يجد الضعفاء والمنفيون عن وطنهم سوى قوة الذاكرة لرفع معاناتهم، ولذا فهم يبذلون جهود جمة في إعادة تركيب صور الماضي عبر جمع الشهادات الشفوية والتذكر والحفظ والقصص الشعبية والغناء والرسم والرقص· إن الانتماء إلى الثقافة وشبكة العلاقات الاجتماعية المحلية يشكل رابطاً فعلياً بين ملايين من البشر المحرمين على هذه الأرض ليس من كرامتهم وحقوقهم الانسانية الاولية فحسب، إنما من رواية تجاربهم التاريخية أيضاً·

لقد أردت لهذا الكتاب أن يكون منبرا للاجئي لوبية لكي يحكون من خلاله تجاربهم الذاتية· تكشف قصصهم وصور الماضي الطرية في خيالاتهم وأحلامهم وذكرياتهم (رغم أنها تبدو أحيانا هشة وقابلة للانكسار)، عن الوجه الأصلي لبلدهم، وتحوّل الأنقاض إلى جغرافيا بشرية مفعمة بالحياة· وفي حين لا يتطرق هذا الكتاب مباشرة إلى تجارب كافة اللاجئين

الفلسطينيين من 531 قرية ومحل في فلسطين، ولا يعالج بشكل مباشر مآسيهم المستمرة وكيفية محافظتهم على ذاكرتهم المحلية المرتبطة بلدانهم الأصلية، لكنه يقول الكثير عن هذه التجارب من خلال مثال لوبية الخاص.

كشف النقاب عن لوبية

نشأت علاقتي بكثير من الفلسطينيين، على الصعيدين الشخصي والرسمي، خلال عملي مع حركة النقابات العمالية ومؤسسات فلسطينية أخرى. وقد أتاحت لي نشاطاتي هذه فرصة التواصل اليومي بلوبيين يعيشون في أمكان مختلفة في العالم. كما أنّ كوني فلسطينيا وناشطاً في القضية الفلسطينية، من جهة، ومقيمًا لفترات الطويلة في أوروبا، من جهة اخرى، جعلني أتوسع في حيّز ثقافي جديد، بين الثقافة الشرقية التي ولدتُ وترعرعت فيها والثقافة الغربية التي عشت فيها على مدار الأعوام العشرين الماضية. وقد شكّلت معرفتي واتصالاتي بلوبيين في اسرائيل وكذلك بعدد من اليهود الاسرائيليين الذين شاركوا في عملية احتلال لوبية عام 1948، ما يمكن وصفه تعريفا أوليا بمجال بحثي، وكذلك كان لزيارتي الأولى للقرية عام 1994 أن فتحت أمامي آفاق رؤيا جديدة وإمكانيات فهم لم تكن متوفرة من قبل. حين سألني صحافي عن شعوري لحظة وطئت قدمي أرض لوبية للمرة الأولى، قلت: أشعر كأنّي ولدت وعشت على متن طائرة طيلة حياتي وها أنا أهبط على الأرض لأول مرة!

استمر جمع هذه الاثنوغرافيا خمسة أعوام، وحين بدأت لم تكن بحوزتي أية وثيقة مكتوبة عن القرية. إلاّ أنني سرعان ما بدأت اكتشف، بعد لقائي بلوبيين في منافيهم العديدة، مجموعة وثائق ومؤلفات مثيرة للاهتمام وضعها لوبيون بأنفسهم عن الحياة في القرية. تشمل هذه المجموعة كتيباً صغيراً من تأليف إبراهيم شهابي، ومذكرات لمحمد خليل أبو عصام، وجداول انساب عائلية خاصة بعائلات الصمدي والكيلاني وعطوات وشهابي (أنظر نسخاً عنها في الملحق ب). أما الوثائق الأخرى التي أثمر البحث في الكشف عنها فتشمل صوراً وعقود زواج وحججاً ووثائق ملكية للأرض ورسائل شخصية. لقد وفّرت هذه الوثائق معلومات وفيرة ساعدتني في إعادة تركيب ملامح الحياة في لوبية قبل وبعد العام 1948.

إن كل رجل أو امرأة مسنة في مثل حالة لوبية، هي بمثابة مكتبة ضائعة. لقد أجريت 700 مقابلة شفوية مع لوبيين مقيمين في أمكان مختلفة في المنفى. وتخللت مدة البحث ثمانية أشهر قضيتها بين لوبيين في الدنمرك، وأربعة عشر شهراً قضيتها بين لوبيين في إسرائيل والأردن، وتسعة أشهر في سوريا ولبنان وفلسطين المحتلة عام 1967. وكذلك

قمت باجراء مقابلات مع يهود إسرائيليين من بينهم ضابطين متقاعدين كانا قد شاركا في الهجوم العسكري على القرية عام 1948.

ثمة في التاريخ الشفوي، كمنهج بحث، مواضع قصور معروفة. لقد استعنت في التغلب على اختلاف الاسماء والتواريخ وذكريات الاحداث بمنهج المقارنة بين الروايات الشفوية المختلفة، وبمقابلة المعلومات بمصادر أرشيفية بريطانية وإسرائيلية وفلسطينية. ثمة أيضاً عوامل نفسية مختلفة، كالخوف وافتقاد الامن، تؤثر بشدّة في روايات الافراد. فعلى سبيل المثال، مُنع لاجئ فلسطيني زار لوبية في العام 1994 من العودة إليها بسبب اجراء مقابلة معه، ومعظم الذين أجريت معهم مقابلات لم يوافقوا على ذكر أسمائهم كاملة. وفي مقابل ذلك، لم يُظهر الضباط الإسرائيليون الذين قابلتهم أية تحفظات وتحدثوا بانطلاق.

أتاحت دائرة الوثائق البريطانية ومكتب الوثائق العامة في لندن ومكتبة اكسفورد وسانت انتوني كوليج وكذلك أراشيف مجلس العموم مقاربة تاريخ لوبية من منظور خاص. كانت حكومة الانتداب البريطاني قد أجرت إحصاءين عامّين لفلسطين عام 1922 وعام 1931، وقامت بتعديل الأخير سنويًا حتى العام 1946. تحفظ هذه الأراشيف أيضًا معروضات شتى مبعوثة من لوبيين الى وكالة الاستيطان اليهودية JICA?، ووثائق متعلقة بانشاء مجلس محلي وتقارير عن المستوى الصحي في القرية، لكني لم اعثر فيها على أثر لوثائق متعلقة بتسجيل ملكية الارض. مثل هذه الوثائق موجودة بنسخ مختلفة في أراشيف إسرائيلية مختلفة ودوائر رسمية في الناصرة والقدس وتل أبيب، وكذلك في أراشيف الأمم المتّحدة في نيويورك.

لقد بحثت عن قصص لوبية المخبّأة في كل مكان، تلك التي ترسم صورة لملامح الحياة في القرية قبل دفنها تحت حرش الصنوبر "جنوب افريقيا". واخترت لوضع هذا الكتاب جزءً صغيراً فحسب من المواد المجموعة التي تحوي أكثر من ألف صفحة من المقابلات والصور والوثائق. أما هذه المواد بمجملها، بما فيها من صور واشرطة تسجيل أصلية للمقابلات الشفوية، وكذلك الفيلم الوثائقي الذي اعدّه الراديو الدنمركي، فسوف تحفظ لدى مؤسسة كارستين نيبوهر، والمجلس الدنمركي للاجئين في كوبنهاغن، وعلى أمل، في متحف فلسطين الوطني حين يقام.

الفصل الأول من هذا الكتاب يقدم لمحة عامة عن الذاكرة في حياة لوبيين مسنين. الفصل الثاني يتتبع أصول الحمائل والقبائل المختلفة في القرية. الفصل الثالث يصف مشهد القرية ومواقعها كما يتذكّرها اللوبيون. الفصل الرابع يرسم صورة عن أوجه الحياة اليومية في القرية، كالتعليم والحصاد والخلافات المحلية واحتفالات الأعراس. الفصل الخامس يبيّن علاقات لوبية بالقرى العربية والمستوطنات اليهودية المجاورة، وكذلك بسلطات الانتداب

البريطاني. الفصل السادس يعالج مكانة الأرض في الصراع. الفصل السابع يبين دور اللوبيين في انتفاضة ١٩٣٦-١٩٣٩. الفصول المتبقية فتعالج النكبة وما بعدها كما يلي: الفصل الثامن يقدم بعض الروايات عن النكبة، التاسع يهتم بالحياة في المنفى، والعاشر يفسح المجال للوبيين لتأمل الروابط التي تبقيهم على اتصال بقريتهم الأصلية وكذلك المستقبل الذي ينتظرهم وإمكانية العودة.

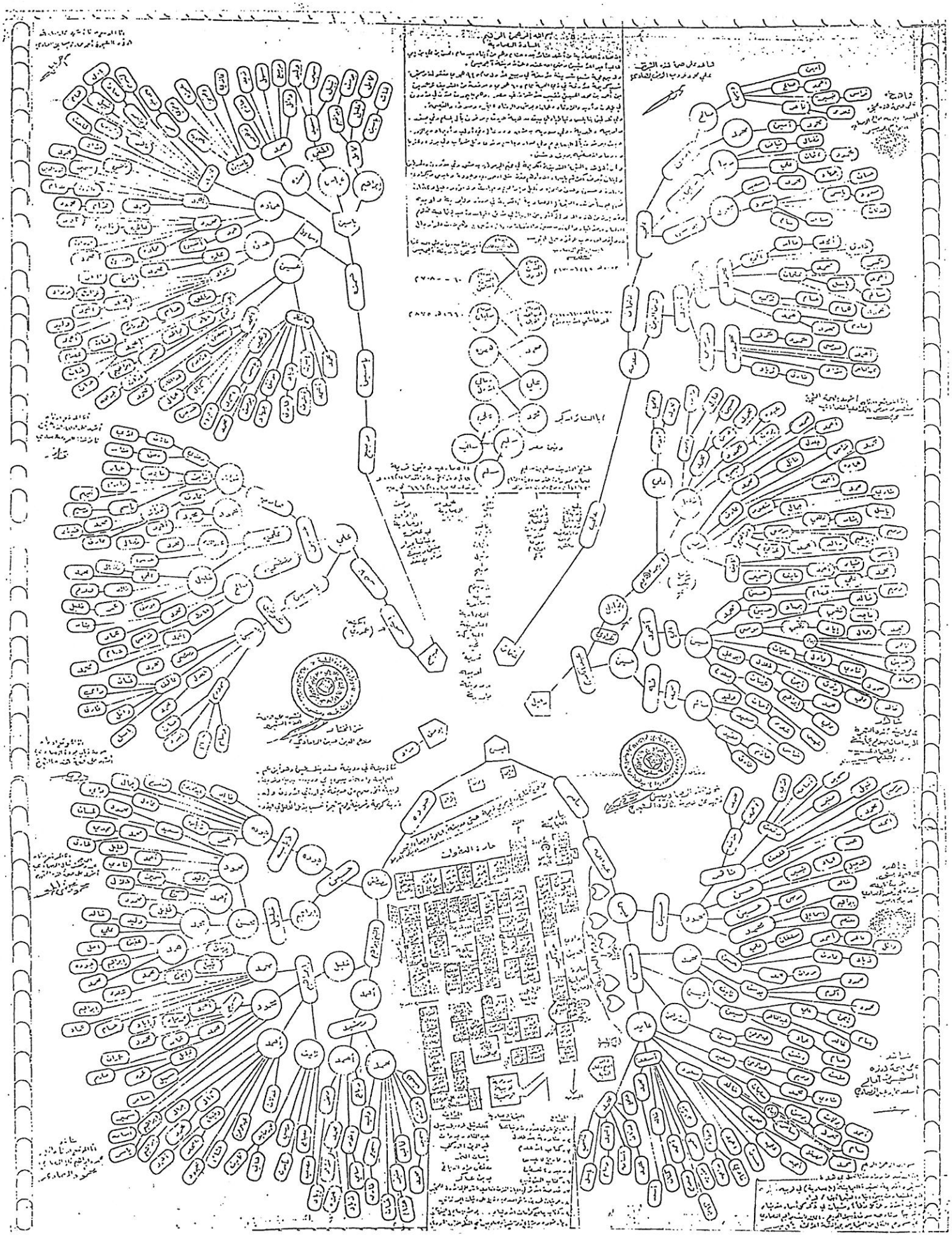

The genealogical tree of al-Samadi family, traces back to Hassan, son of Khalifa Ali in the 7th century. Original length of the family tree: 9.5 meters.

الفصل الأوّل

أركيولوجيا الذاكرة

"إن صراع البشر ضد السلطة هو صراع الذاكرة ضد النسيان" (ميلان كندرا)

محمد خليل (أبو عصام) هو الشخص الوحيد من جيل لوبية القديم، الذي وضع مذكرات عن الحياة في القرية. كان أبو عصام معلمًا في لوبية ومدير مدرسة في عيلوط والناصرة، وقد دوّن ولده ذكرياته عن لوبية قبل وفاته عام 1989. وفي وقت لاحق نشر كلّ من إبراهيم شهابي ويوسف أبو دهيس مؤلفاتهما عن الحياة في القرية. يعيش الشهابي وأبو دهيس اليوم في سوريا وما من شيء يحد من تدفق ذكرياتهما عن سنواتهما المبكرة في لوبية.

ما زال الرجال والنساء في العقد السادس والسابع والثامن من العمر يروون ذكرياتهم عن لوبية لأجلهم أنفسهم كما لأجل أبنائهم وأحفادهم. تبدو قصص الأجداد بنظر الأحفاد "غامضة ومتناقضة" (حسب تعبير أنطونيو غرامشي) والصورة التي ترسمها عن لوبية "متنوعة وغريبة التكوين"[1]. هذا بالطبع خلاف ما يشعره الجيل القديم الذي نشأ في لوبية واقتلع منها في العام ١٩٤٨. لكن رغم الفارق بين الأجيال والتجارب، فإنّ الذكريات ومشاهدات العيان والتأريخ الجمعي القائم على التراث والتقاليد ليست مصدر إلهام أساسي للمسنين فحسب، إنما ركن من أركان هوية الجيل الشاب أيضا. لوبية، بكلمات أخرى، هي بؤرة مرجعية في عمل اللاوعي، وإطار ثقافي، وصورة ذهنية ماضية وحاضرة، تأسر وتلهم وتؤثر في مخيلة الحياة لدى الكبار والصغار.

وكذلك بالنسبة للإسرائيليين الذين شاركوا في العمليات العسكرية ضدّ لوبية في العام 1948، مثل عزرا لافي ونحوم عبّو، فذكرى لوبية لم تخبُ لديهم أيضا، لأنها جزء من

---

[1] Antonio Gramsci, *Selections from the Prison Notebooks.* Quintin Hoare & Geoffrey Nowell Smith (eds.). New York: International Publishers, 1971, pp. 324 and 423; *Selections from Cultural Writings.* David Forgacs & Geoffrey Nowell Smith (eds.). London: Lawrence & Wishart, 1985, p. 189, cited in Ted Swedenberg, *Memories of Revolt, the 1936-39 Rebellion and the Palestinian National Past.* Minneapolis: University of Minnesota Press, 1995, p. 27.

الفصل الأوّل

أركيولوجيا الذاكرة

"إن صراع البشر ضد السلطة هو صراع الذاكرة ضد النسيان" (ميلان كندرا)

محمد خليل (أبو عصام) هو الشخص الوحيد من جيل لوبية القديم، الذي وضع مذكرات عن الحياة في القرية. كان أبو عصام معلمًا في لوبية ومدير مدرسة في عيلوط والناصرة، وقد دوّن ولده ذكرياته عن لوبية قبل وفاته عام 1989. وفي وقت لاحق نشر كلّ من إبراهيم شهابي ويوسف أبو دهيس مؤلفاتهما عن الحياة في القرية. يعيش الشهابي وأبو دهيس اليوم في سوريا وما من شيء يحد من تدفق ذكرياتهما عن سنواتهما المبكرة في لوبية.

ما زال الرجال والنساء في العقد السادس والسابع والثامن من العمر يروون ذكرياتهم عن لوبية لأجلهم أنفسهم كما لأجل أبنائهم وأحفادهم. تبدو قصص الأجداد بنظر الأحفاد "غامضة ومتناقضة" (حسب تعبير أنطونيو غرامشي) والصورة التي ترسمها عن لوبية "متنوعة وغريبة التكوين"[1]. هذا بالطبع خلاف ما يشعره الجيل القديم الذي نشأ في لوبية واقتلع منها في العام ١٩٤٨. لكن رغم الفارق بين الأجيال والتجارب، فإنّ الذكريات ومشاهدات العيان والتأريخ الجمعي القائم على التراث والتقاليد ليست مصدر إلهام أساسي للمسنين فحسب، إنما ركن من أركان هوية الجيل الشاب أيضا. لوبية، بكلمات أخرى، هي بؤرة مرجعية في عمل اللاوعي، وإطار ثقافي، وصورة ذهنية ماضية وحاضرة، تأسر وتلهم وتؤثر في مخيلة الحياة لدى الكبار والصغار.

وكذلك بالنسبة للإسرائيليين الذين شاركوا في العمليات العسكرية ضدّ لوبية في العام 1948، مثل عزرا لاڤي ونحوم عبّو، فذكرى لوبية لم تخبُ لديهم أيضا، لأنها جزء من

---

[1] Antonio Gramsci, *Selections from the Prison Notebooks.* Quintin Hoare & Geoffrey Nowell Smith (eds.). New York: International Publishers, 1971, pp. 324 and 423; *Selections from Cultural Writings.* David Forgacs & Geoffrey Nowell Smith (eds.). London: Lawrence & Wishart, 1985, p. 189, cited in Ted Swedenberg, *Memories of Revolt, the 1936-39 Rebellion and the Palestinian National Past.* Minneapolis: University of Minnesota Press, 1995, p. 27.

نسيج ذكرياتهم وإن كانت أشبه بطبقة ترسّبت تحت السطح· إن ذكريات هؤلاء هي أيضاً جزء من تاريخ لوبية·

معالم في الذاكرة:

لقد جاهد اللاجئون الفلسطينيون على مدار أكثر من خمسة عقود في المنفى من أجل إحياء وإعادة تكوين روابطهم ببيوتهم وقراهم، ويظهر ذلك في علاقاتهم الاجتماعية وأطرهم الثقافية وفي الحكايات والأغاني والأمثال والنكات التي يحفظونها جيلا بعد جيل ويروون عبرها تاريخ بلدهم الأصلي·

أبو سامح الصمادي[2] هو أحد هؤلاء اللاجئين، ويقيم اليوم في مخيم اليرموك[3] قرب دمشق· كان أول لقاء لي معه في صباي حين رافقت والدي في زيارة إلى دمشق· حصل أبو سامح على شهادة المرحلة الثانوية بعد أن تعدّى الخمسين من عمره· جمع مكتبة ضخمة تحتلّ جدران غرفٍ ثلاث في منزله، وتحوي على نسخ من مخطوطات عربية قديمة تذكر وقائع تاريخية حدثت في لوبية أو جوارها· وقد أصبحت هذه المكتبة مكاناً يقصده الباحثون المهتمون بالتاريخ العربي والإسلامي· في غضون أقل من ساعة على وصولي إلى هناك تكوّمت أمامي كل المصادر التي تذكر لوبية أو تشير إليها من قريب أو بعيد· كانت ذاكرة أبو سامح ومصادره مرجعًا قيّماً ساعدني في التأكد من تفاصيل تاريخ لوبية·

وقد اقترح علي أبو سامح أثناء مكوثي في مخيم اليرموك أن ازور الحاج محمد سمير كرزون (أبو محمود)[4] المعروف بذاكرته القوية· كان الحاج أبو محمود 'كندرجيا' في

---

[2] أبو سامح الصمّادي من مواليد عام ١٩٢٦· أجريت المقابلة معه بتاريخ ٢٥ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٩٨، في مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين بدمشق·

[3] أقيم مخيم اليرموك عام ١٩٥٧ على بعد ثمانية كيلومترات جنوبي مركز مدينة دمشق وداخل حدودها البلدية· يعتبر هذا المخيم أكبر تجمّع للاجئين الفلسطينيين في سوريا، وقدّر عدد سكانه في ٣٠ حزيران/يونيو ٢٠٠٣ بأكثر من ١١٢،٠٠٠ لاجئ·

[4] الحاج محمود سمير كرزون (أبو محمود) من مواليد العام ١٩٢٨· أجريت المقابلة معه بتاريخ ٢٦ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٩٨، في مخيم اليرموك للاجئين بدمشق· وأجريت معه مقابلة أخرى بعد عام في ١٩٩٩·

لوبية وبعد خمسين عاماً من اللجوء، استيقظ بغتة في إحدى الليالي وأخذ يرسم لوبية على قطعة من ورق. قال: "ساعة من الساعات صحيت، ما شفت حالي إلا كل الشوارع قدّامي. جبت ورقة وصرت أرسم. جبت ورقة صغيرة. ما عم تسع. اضطريت أغيّر الورقة، أكبّرها...." تحدث الحاج عن كل بيت وقطعة وقتًا طويلاً، وأعتذر في آخر حديثه لأنه نسي اسمين أو ثلاثة لم يكن متأكداً منهم، وقال إنه سيضيفهم في النسخة القادمة. ثمّ قدّمت له صورة فوتوغرافية قديمة للقرية مأخوذة من الجو، فاحتضنها وبكى بصمت قبل أن يقبّلها كما يقبّل طفلاً ويضعها إلى جانب خارطته. كان من الصعب التمييز بين الصورة الفوتوغرافية والخارطة المرسومة من الخيال بعد كل هذه الأعوام في المنفى.

يجد المرء في مخيم برج الشمالي في لبنان عائلتين أو ثلاث من لوبية كل مائة متر تقريبا. زرت المخيم أوائل العام 1999 من أجل إجراء بعض المقابلات، ولم يمض على وصولي وقت قصير حتّى تجمع حولي شبان عرفوا بمجيئي مسبقاً وأرادوا مقابلتي بسبب البحث الذي أجريه. بدا البعض كأنه يعرفني شخصياً. كان قسم منهم قد شاهد الفيلم الوثائقي عن لوبية، "أرض الأجداد".

وحدث في مخيم برج الشمالي أن التقيت بصاحب دكان اسمه محمد ذياب. كان محمد يملك دكاناً في لوبية أيضا قبل التهجير، وأراني نسخة عن دفتر الديون القديم الذي مازال محتفظا به على أمل أن يفي الدائنون ثمن بضاعة أخذوها قبل أكثر من خمسين عام. وعندما أريت نسخة من الدفتر للوبيين في دمشق لم يرق لهم الأمر وأنكروا الدّين. لكن فايز الفواز (أبو ماجد)، من مخيم اليرموك، أصرّ على فتح الملف. قال: "على هؤلاء الناس ألاّ ينسوا ماضيهم حين كانوا فقراء؛ عليهم الوفاء بالدّين ولو بعد خمسين عاماً."

عرفت أبو ماجد راوياً مشوّقاً منذ طفولتي في المخيم في لبنان. أذكر أنه جاء مرةً من سوريا خفيةً ليسلّم على عمي. قفز من فوق جدار المخيم تجنّبًا لأعين رجال المخابرات، ففي ذلك الوقت كان ممنوعًا على اللاجئين في سوريا ولبنان زيارة بعضهم البعض دون إذن مسبق من الأجهزة الأمنية. لم أزل منذ ذلك الحين مشدودًا إلى حكايات أبو ماجد وأسلوبه في الإلقاء، وحين قابلته مجدّداً لغرض هذا البحث سرد على مسمعيّ تاريخ القرية من جديد، كأنّه لم يروه من قبل. كان كأنما يردّد نصّاً محفوظا في ذاكرته. عاد في روايته إلى الوراء مائتي عام فذكر السكان الأوائل ومن تلاهم والوقائع القديمة في لوبية والجوار. تحدّث مطوّلاً وحين نفذت أشرطة التسجيل الفارغة، قال: "إن كنت تعبت اليوم، أهلاً وسهلاً بك غداً". والمحصلة كانت أن سجّلت أكثر من اثنتي عشرة ساعة مع أبو ماجد على مدار أسبوعين كاملين لم أشعر خلالها بأنه تذمر لحظة من تعب أو ملل. وقد حضر

اللقاءات أفراد من المخيم جاءوا خصيصاً للاستمتاع بحديثه المشوق وأشعاره الحماسية وحكاياته المسلية عن حياة الناس في القرية.

وقائع لوبية التاريخية:

ومما أدهشني في روايات أبو ماجد وغيره من المسنين، أنّهم يسردون وقائع تاريخية معينة بحماس فريد كأنها جزء من تاريخهم الشخصي. كنتُ أشعر أحيانا أن الإنسان كلّما عانى أكثر، كلّما تمسك في البحث عن جذوره.

يأتي اللوبيون على خمس حوادث ووقائع أساسية في تاريخ لوبية، هي: موقعة حطين عام 1187، والعلامة أبو بكر اللوباني، وموت حاكم دمشق سليمان باشا العظم عام 1743، وزحف نابليون إلى عكا عام 1799، ودور خليل إبراهيم عزام الضابط اللوباني في الجيش العثماني في مقاومة غزو نابليون.

يرجع أقدم ذكر لأسم لوبية إلى فترة الحروب الصليبية، وإلى موقعة حطين الفاصلة تحديدا، والتي جرت في الرابع من حزيران عام 1187 وهزم فيها صلاح الدين الأيوبي القوات الصليبية. سميت المعركة على اسم جبل حطين، لكنها وقعت على أراضي لوبية. أقام صلاح الدين معسكره في كفر سبت جنوبي لوبية، ومن هناك أشرف على سير المعركة التي قال فيها المؤرخون العرب كما ورد لدى ابن الأثير: "من شاهد القتلى قال ما هناك أسير، ومن شاهد الأسرى قال ما هنالك قتيل" ويقال أيضاً إن أرض الدامية في لوبية سميت كذلك بسبب الدماء التي صبغت تربتها وقتئذ.[٦]

وقد جاء في مذكرات أبو عصام ما يلي:

"في أرض لوبية من الشمال المسماة الرقوقة حصلت معركة حطين بين صلاح الدين والصليبيين. هذا ما جاء في **كتاب تاريخ صلاح الدين** لمؤلفه هلال بن شداد قاضي صلاح الدين والذي رافقه في كل معاركه وهنالك انتصر صلاح الدين على الصليبيين حيث كانت خيامه منصوبة بالقرن وجيوشه إلى الجنوب في سهل لوبية. من هناك كان يدير المعركة وإلى الغرب من القرن منحدر ينزل إلى عيون حطين وقد وضع صلاح الدين حرساً في هذه الطريق تحمي وتمنع الصليبيين من الوصول إلى الماء حيث استولى هو على الماء فكان يسقي جيشه ومنع الصليبيين

---

[5] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، الجزء الثاني. بيروت: دار الصدر، ١٩٧٩، ص.ص. ٥٣٢-٥٣٧.

[6] **الموسوعة الفلسطينية**، الجزء الثاني. دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، ص. ٤٠٨.

من الماء فماتوا عطشاً... قتل من قتل منهم وأسر الباقون ومن جملتهم ملك القدس وأمراء الصليبيين ومن جملتهم أرناط (ورنو) حاكم الكارك الذي كان يقطع الطريق على الحج وكان قد أسر أخت صلاح الدين وقد أقسم صلاح الدين على أنه إذا وقع أرناط بيده سيقتله وكان أن وقع أسيراً مع جملة الأسرى، وقد شرب ماء كما فعل الباقون ولكنه لم يعفو عنه بل قتله أيفاءً ليمينه وعفا عن الآخرين."

أما أبو بكر عبد الرحمن ابن الرحال منصور اللوباني فقد اشتهر كفقيه ومفتي وكان مدرّسا للفقه والعلوم الإسلامية في دمشق في القرن الخامس عشر.[7]

وكان سليمان باشا العظم والي دمشق في القرن الثامن عشر، وقد توفي في الرابع والعشرين من شهر آب عام 1743 في طريقه إلى دير حنا لضرب ظاهر العمر. كان العمر قد تمرد على الحكومة العثمانية ورفض تأدية الضرائب إلى دمشق وبسط نفوذه على المنطقة بأكملها من عكا إلى حيفا ويافا جنوباً، ومن شفاعمرو وصفورية إلى لوبية وطبريا وعجلون شرقاً.

عُرف العمر بلقب "أمير الجليل"[8]، واعتبره بعض المؤرخين أول فلسطيني حاول إقامة كيان فلسطيني مستقل عن العثمانيين. أحمد باشا الجزار (١٧٢٢-١٨٠٤) الذي كان قد خلف ظاهر العمر نجح في الصمود أمام حصار نابليون لعكا، وقد آزره في ذلك البريطانيون، لكن جيش نابليون نجح في احتلال الناصرة وصفد. وكانت القوات العثمانية القادمة من دمشق قد سيطرت على طبريا ولوبية، لكنها هزمت بجوار جبل طابور جنوب غربي لوبية. وفي زحفه من منطقة لوبية إلى عكا قام جيش نابليون بحرق العديد من القرى، لكنه فشل في إخضاع الجزار في عكا بعد تسع هجمات متتالية، فأمر نابليون جنوده بفك الحصار عن المدينة وبالانسحاب إلى مصر. كان غزو نابليون بونابرت لمصر وسوريا في الأعوام 1798-1801 بدايةً لقرن من الصراع بين القوى الصناعية حديثة

---

[7] محمد عبد الغني حسن، **تراجم وسير**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥.

[8] نفس المصدر، ص. ٨٣٤، اقتباسا عن الشيخ أحمد البديري الحلاق، **حوادث دمشق اليومية**، تحقيق أحمد عزة العربي. القاهرة: الجمعية المصرية التاريخية، لجنة البيان العربي، ١٩٥٩، ص.ص. ٤٢-٤٧. أنظر كذلك: موسى أبودية (تحقيق، تبويب، وشرح)، **ظاهر العمر وحكام جبل نابلس ١١٨٥-١١٨٧هـ/١٧٧١-١٧٧٣م، مخطوطة بقلم إبراهيم الدنفي السامري [ت. ١٧٩٠]**. نابلس: جامعة النجاح، مركز التوثيق والمخطوطات والنشر، ١٩٨٦. ص. ١٩. مقتبس في: **كي لا ننسى**، مصدر سابق الذكر، ص. ٥٢٧.

النشوء في أوروبا، وخاصة الفرنسيين والبريطانيين، على النفوذ في الشرق الأوسط.[9]

كان خليل ابراهيم عزّام من لوبية ضابطا رفيع المستوى في جيش الجزار، وهو من أقارب أبو عصام، من عائلة الشناشرة. يذكر أبو عصام ما يلي في مذكراته عن النزاعات الداخلية بين قوات الجزار:

"اشتهرت عائلة الشناشرة بنفوذها في المنطقة حيث كان خليل إبراهيم العزام قائد المدفعية عند أحمد باشا الجزار وله مواقف في حروب الجزار مع نابليون وأخيراً وقع اختلاف بينه وبين الجزار بسبب اعتقال الأخير لوالده إبراهيم العزّام حيث فرض عليه دفع مبلغاً من المال فلم يقبل إبراهيم العزام دفع المبلغ فأعتقله وكان في سجن الجزار في ذلك الوقت الأمير يوسف الشهاب حاكم لبنان وكان أن أدخل الطعام إلى إبراهيم العزام فوجدوا داخل الخبز ورقة فيها رموز مصطلح عليها بين الأب وابنه فحللوها جماعة الجزار واستنتجوا على أن هناك وعداً بإطلاق سراح والده والأمير يوسف فحاول الجزار أن يلقي القبض على خليل ولكنه هرب مع فرقة من الجيش فوقعت معركة بينه وبين الجزار حيث هاجم الجزار لوبية وهدمها. وقد أخبرني بعض من كان موجودا في ذلك الوقت من الرجال المسنين أن المخابرات بينهم أي سكان لوبية كانت بلغة الطيور والحيوانات."

[9] محمد عمر الحمادة، أعلام فلسطين، الجزء الأول. دمشق، دار قتيبة، ١٩٨٥، ص.ص. ١٦٢-١٦٣، وكذلك ص.ص. ٧٢٠-٧٢٧.

Mukhtar Khalil Abd al-Kadir, on the left,
with his friends in the thirties.

Ahmad Okla,
one of the leaders in the 1936-1939 revolution.

Mukhtar Hassan Abu Duhais, with his family, in the forties.

Abu Isam, on the right, with teachers from other villages, in Lubya, in the thirties.

Abu Isam visiting Baalbeck, Lebanon, in the thirties.

ثلاثة من أبناء المرحوم المجاهد مختار أبو ذهيس الليبي وقد وقفت أمامهم احدى المخطوطات

مجاهدون ليبيون

Original pitures from Lubya: the sons of Mucktar Abu Dhais, a group of Lubyans with rifles.
Two women: Zarifa Hajjo & Nasra Shihabi

A view of the threshing floor in Lubya before its demolition
Abu Khalid, Um Khalid and Khalid in Bourj al-Barajni looking at Lubya's photo

الفصل الثاني

الحمائل والشيوخ والمخاتير

"تصنع العائلات آباءها وأبناءها وتعطي لكل فرد قصة وشخصية ومصيراً وحتى لغة."
(إدوارد سعيد)

يوسف عوض أبو دهيس (أبو بسام)[10] هو أحد اللوبيين المقيمين اليوم في مخيم حمص للاجئين[11] في سوريا. قابلته أول مرة في دمشق وكان يعمل جاهدا على إتمام كتابه عن لوبية[12]. ثم زرته بعد أيام معدودة في منزله في المخيم وكان قد فرغ لتوه من العمل على الكتاب، فقابلني بحماس لا يقل عن حماسه لعمله. خصص أبو بسام ثلث كتابه للحمائل المختلفة في لوبية وأماكن تواجدها اليوم، مما أعطى صورة للعلاقات الاجتماعية في القرية من منظور نمط الحياة العائلي الأبوي.

عندما زرت مكتبة أبو سامح في مخيم اليرموك فوجئت بوجود سلالة عائلية تحوي أسمي وأسم أخي وتُرجع نسب العائلة إلى الحسن والحسين، أبناء علي بن أبي طالب. من الصعب بالطبع التأكد من دقة هذه الأنساب، وكذلك من مدى تأثيرها في اللاوعي الجمعي، من دون مزيد من البحث. لكن المهم في الأمر هو أنّ أبو سامح، بفضل جهوده هذه، تلقّى دعوة إلى إيران كأحد المنتسبين إلى سلالة الرسول. ويرى البعض، مثل أبو محمد الكيلاني[13] (وهو من المسنين القلائل الذين ظلوا في إسرائيل بعد عام 1948 ليس بعيدا عن بلدهم الأصلي لوبية)، أن معرفة الأنساب مهمّة من أجل أن يتعرّف الجيل الجديد على أصله وألا ينسى أهله وأعمامه.

أقدم عائلات لوبية في الذاكرة:

---

[10] يوسف عوض أبو دهيس (أبو بسام) من مواليد العام ١٩٢٨. أجريت المقابلة الأولى معه بتاريخ ١٠ شباط/فبراير ١٩٩٨، في مخيم حمص للاجئين بسوريا.

[11] يقع مخيم حمص داخل المدينة، ١٦٠ كيلومترا شمالي دمشق. أسس المخيم في العام ١٩٤٩. بلغ عدد سكانه ١٣،٧١٥ نسمة في ٣٠ حزيران ٢٠٠٣.

[12] يوسف أبو دهيس، **لوبية: الأرض والشعب**. دمشق: دار المستقبل، ١٩٩٨.

[13] أبو محمود الكيلاني من مواليد العام ١٩٣٢. أجريت المقابلة معه بتاريخ ١٩ تشرين أول/أكتوبر ١٩٩٥، في لوبية.

من أقدم المصادر المكتوبة التي تفيد عن عدد السكان في لوبية هو مسح ضرائب الأراضي العثماني من عام 1596، الذي يذكر لوبية كقرية في ناحية طبريا في لواء صفد وتعداد نفوسها ١،١١٧.[١٤] وتم تقدير عدد سكان القرية بعد ذلك بحوالي ثلاثمائة عام بـــ ٢،٧٣٠ نسمة.[١٥] في الثلاثينات من القرن العشرين، زار إمام منطقة الحولة الشيخ شعبان سلمان لوبية وقدّر عدد سكانها بثلاثة آلاف نسمة.[١٦]

أجرت سلطات الانتداب خلال حقبة الحكم البريطاني في فلسطين (١٩٢٢-١٩٤٨)[١٧] إحصائين قطريين في عام ١٩٢٢ وفي عام ١٩٣١ ، فقُدّر عدد سكان لوبية بـــ ١،٧١٢ نسمة بموجب الأول و بـــ ١،٨٥٠ نسمة بموجب الثاني. ثم عُدّل الإحصاء الأخير سنويا حتى العام 1946، وقدّر عدد سكان لوبية حينه بـــ ٢،٣٥٠ نسمة.[١٨] ويفيد مصدر استخباري صهيوني أن عدد سكان لوبية وصل في العام ١٩٤٣-١٩٤٤ إلى ٢،٤٠٠ نسمة.[١٩] ويقدّر عدد سكان القرية في العام ١٩٤٨ بـــ ٢،٧٢٦ نسمة.[٢٠]

هناك اختلاف في ذكريات المسنين حول تاريخ العائلات الأولى التي سكنت القرية، لكن الجميع يتفقون حول العائلات التي عاشت فيها منذ بدايات القرن العشرين. وقد اتضح خلال البحث أن أبو ماجد من مخيم اليرموك في سوريا هو أحد المراجع الأساسية عن تاريخ العائلات في لوبية خلال القرنين الماضيين. ومن المعروف عنه ذاكرته القوية ومقدرته على سرد أحداث الماضي بدقة، مثلما سمعها من أهله.

قال أبو ماجد إن أولى الحمائل التي توطنت في لوبية هي العجاينة. وأضاف: "كانوا أربعة إخوة، ولكل واحد منهم داره وبابه." أبو ماجد هو ابن هذه العائلة ويرجع نسبه إلى ثمانية أجداد، هم: صبح، عمر، ناصر، علي، حسين، محارب، فواز، فايز. قال: "صبح أول من جاء إلى لوبية... وكانت خلاء."

---

[14] عبد الكريم رافق، "فلسطين في العهد العثماني، من القرن التاسع عشر حتى ١٩١٨" في **الموسوعة الفلسطينية**. المجلد الثاني، مصدر سابق الذكر، ص.ص. ٨٥٠-٩٧٦.

[15] نفس المصدر.

[16] تقرير مقدم من شعبان وناصر الخالدي إلى القيادة الإسلامية في القدس. رسالة إلى قسم إحياء التراث الإسلامي، بتاريخ ٢٦ آب/أغسطس ١٩٣٦. [يوجد نسخة محفوظة لدى المؤلف]

[17] منحت عصبة الأمم بريطانيا العظمى في العام ١٩٢٢ انتدابا على فلسطين، لتدير شئونها حتى يصبح سكانها مؤهلين للحكم الذاتي بنظرها. وقد وضعت فلسطين تحت "فئة الانتداب أ" الأقرب إلى وضعية الاستقلال. يمكن الاطلاع على وثيقة الانتداب على موقع نظام المعلومات الخاص في فلسطين التابع للأمم المتحدة (UNISPAL):
www.un.org/Depts/dpa/docs/unispal.html. وفي أوائل العام ١٩٤٧ أخبرت بريطانيا العظمى الأمم المتحدة بنيتها على الانسحاب من فلسطين، وتم الانسحاب في أيار ١٩٤٨.

[18] المعلومات الإحصائية الانتدابية مأخوذة عن: *Survey of Palestine*. London: Her Majesty's Stationary Office, Reprinted in Full by the Institute of Palestine Studies, 1991. أنظر كذلك: Justine McCarthy, *The Population of Palestine, Population Statistics of the Late Ottoman Period and the Mandate*. New York: Columbia University Press, 1990.

[19] انظر: **لوبيا (قضاء طبريا) ١٩٣٤-١٩٤٤** <بالعبرية>، أرشيف الهاغاناة File No. 105/222 [نسخة محفوظة مع المؤلف]. يذكر التقرير أن ٤٨٠ شخص من مجموع السكان هم رجال تتراوح أعمارهم بين ١٨-٤٨ عاما.

[20] أبو ستة، مصدر سابق الذكر، ص.. ٥٢-٥٣.

إذا جمعنا فارق ٣٠ عاما بين الجد والجد نصل، بحسب معلومات أبو ماجد، إلى تقدير فترة التوطن في القرية بمائتين وأربعين عاما.

أمّا العائلة الثانية التي قدمت إلى لوبية، حسب رواية أبو ماجد، فهي الشناشرة. وقد جاءت من قرية صغيرة في سوريا اسمها خربة غزالة: "كان الناس يتآزرون لحماية أنفسهم من غزو البدو، وكان الفلاحون يدفعون الخاوة للبدو لأجل أن يتركوهم بأمان. وكانت لوبية تدفع الخاوة لقبيلة بني عزام في شرقي الأردن." وقد استمرت بعض هذه العادات حتى زمن ليس بعيداً.

يخصص أبو عصام نصف مذكراته تقريباً لأصول العائلات التي سكنت لوبية، ويذكرها جميعاً بالتفصيل. يبدأ بعائلته، الشناشرة، فيقول: "أول من سكنها أخوان جاءا من قرية كفر اللبن قضاء طولكرم من بيت العبودي نسبة إلى بيت عبود وهما شنشير وماضي فهما أول من سكن القرية وعمّرها وازداد عدد سكانها فكان أبناء شنشير يسكنون القسم الشرقي من التلا <كذا في المصدر>، وأبناء ماضي يسكنون القسم الغربي منها وكان بين العائلتين جامع بناه أحد أبناء الماضي، فكان حاجزًا بين الطرفين."

"ومع طول الوقت كثر عدد القرية فوقع بين العائلتين اختلاق أدّى إلى معركة حامية كانت الغلبة فيها لأبناء شنشير على أبناء ماضي فقتل من قتل وفر الباقون إلى القرى المجاورة فسكن بعضهم في صفورية قضاء الناصرة ويسمون بدار أبو حيط ومنهم عائلة العباس والتوبة وكانوا من الملاكين الكبار في القرية لهم أرض زراعية وكروم وبساتين."

"وهناك من آل الماضي قسماً سكن قرية المجيدل ويسمون اللوبيين نسبة إلى لوبية وكانوا أصحاب أملاك ومكانة مرموقة في بلدهم."

"ومن آل الماضي من سكن في الجاعونة المسماة اليوم روشبين [روش بينا] يدعون العمايرة وهم أيضا نزحوا إلى سوريا. وهناك قسماً منهم نزح إلى بيت فوريك الواقعة شرقي نابلس ومنهم عائلة جبر والبعض منهم سكن نابلي. وهنالك قسماً منهم يسكن قرية حمامة قضاء القدس ويسمون بعائلة الحردانين أي الزعلانين. وقسم منهم نزح إلى قرية إجزم الواقعة على ساحل البحر جنوب حيفا وبقوا محافظين على أسم ماضي."

مازال منزل الماضي قائما في إجزم حتى يومنا هذا، وكذلك المسجد والمدرسة. يقول أبو عصام: "كان قسماً منهم [أي عائلة الماضي] يسكن قرية الطنطورة وهي ميناء على البحر قرب قيسارية وعتليت وقد اشتهروا بفطنتهم وثقافتهم فمنهم المحامون". انتقلوا جميعا إلى لبنان بعد العام ١٩٤٨.

تقع الطنطورة 35 كيلومتراً جنوب حيفا وقد ارتكبت فيها القوات الإسرائيلية مجزرة كبيرة ضد المدنيين بعد إعلان قيام إسرائيل في 22 و٢٣ أيار 1948، راح ضحيتها ما يقارب مائتي مدني فلسطيني.[٢١]

وقد صارت البعض يعرفون كناية ببلدهم الأصلي لوبية بعد النكبة. عيسى اللوباني[٢٢] هو مثال على ذلك. كان عيسى شاعراً وأديباً وناشطاً سياسياً في صفوف الحزب الشيوعي يعيش في الناصرة. زرته في العام 1995 وكان مريضاً لا يقوى على مغادرة الفراش. بكى حين استذكر الأحداث المأساوية ومقتل أخيه بعد عام 1948، لكنّه استجمع قواه في نهاية المقابلة.

قال عيسى: "ولدت في المجيدل، وكذلك أبي، ولد في المجيدل سنة ١٨٨٤. وبحسب معلوماتي هاجرت العائلة من لوبية منذ القدم، وكان المختار منا. سمعت قصة أجدادنا من أختي فهيمة النجار التي ولدت سنة ١٩٢٥. قالت لي جاء سبعة أخوة قبل مائتي عام إلى لوبية من مكان ما في الضفة الغربية. سكن ثلاثة منهم في المجيدل، ولا نعرف مصير الباقين. لكن من المؤكد أن أصلنا من لوبية، ولذلك أطلقوا علينا كنية لوابنة. لاحقاً، سجلنا اسم العائلة لوباني."

بعد عدة أيام على إجراء اللقاء اتصلت معي منوى الزعبي، زوجة عيسى، واخبرتني أنّ زوجها تعافى إثر المقابلة وغادر الفراش لأول مرة منذ أشهر. لا شك أن لروايات الماضي تأثير ليس على هوية المرء فحسب، بل على نفسيته أيضاً. لاحقاً، أتصل عيسى معي بالهاتف إلى كوبنهاغن على أمل أن أساعده في العثور على ناشر لرواياته.[٢٣] وفي العام 1999 توفي عيسى دون أن يتسنى له رؤية جميع أعماله منشورة.

---

[21] جورغين بيدرسين، **عرس في رام الله** [بالدنيماركية]. كوبنهاغن: غيلدندال، ٢٠٠٣، ص. ٨٢. يقتبس بيدرسين من أشرطة التسجيل لمقابلة الباحث الإسرائيلي تيدي كاتس مع موردخاي سوكلور الذي يقدر عدد القتلى بـ ٢٣٠. يقول كاتس في بحثه (الذي أثار ضجة إعلامية ثم سحبته الجامعة على خلفية دعوى التشهير التي رفعها الجنود السابقون ضد كاتس) إن لواء الكسندروني كان مسئولا عن المجزرة. أنظر شهادات عيان عن مجزرة الطنطورة من إعداد مصطفى الولي: "شهود عيان يروون أحداث مجزرة الطنطورة،" **في مجلة الدراسات الفلسطينية**، عدد ٤٣ صيف ٢٠٠٠. وكذلك في نفس العدد: الياس شوفاني، "مجزرة الطنطورة في السياق التاريخي لتهويد فلسطين"، يتناول فيها السياق التاريخي للحدث ضمن سلسلة الأعمال الإرهابية الصهيونية الرامية لتهجير السكان العرب الفلسطينيين، وكذلك يتناول فيها أطروحة كاتس التي تنقض الرواية الإسرائيلية الرسمية. أنظر بالانكليزية حول نفس الموضوع: Ilan Pappe, "The Tantura Case in Israel: The Katz Research and Trial," *Journal of Palestine Studies* 3 (Spring 2001) pp. 19-39. أنظر كذلك كتاب يحيى محمود، وأصله من الطنوطورة، عن المجزرة، وقد نشر هذا الكتاب قبل أعوام عديدة على بحث تيدي كاتس. يحيى محمود، **الطنطورة**. دمشق: دار الشجرة، ١٩٩٨.

[22] عيسى اللوباني من مواليد العام ١٩٣١. أجريت المقابلة معه بتاريخ ١٩ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥، في الناصرة.

[23] يبلغ عدد أعمال عيسى الجاهزة للطبع ١٥ عملاً، منها التالية: **عرس الدم**؛ ثلاثية بعنوان **السقوط، القلق، و وجع القلب**؛ وثلاثية أخرى بعنوان: **يمشون على حدّ الموس**.

أخبرني طاهر محمد حسين (أبو طلعت)[٢٤]، وكان مختار اللوبيين في الأردن حتى وفاته عام 2000، أنّ فروعًا أخرى من العائلة تدعى لوباني تعيش اليوم في قريتي حوارة وسال في الأردن. ويعرف أبو طلعت وزوجته أم طلعت، جميع العائلات اللوبية في سوريا والأردن. قال: "يحمل ناس في حوارة اسم لوباني لأن أحدهم انتقل إلى لوبية مع زوجته الحامل. وعندما توفيت أطلق على الولد اسم لوباني. الجد الأصلي لعائلة لوباني كان من الأردن."

"يوجد اليوم ثلاثة آلاف لوباني إما بالأصل أو بالنسب، منتشرين في الأردن. جاءوا بالأساس من عجلون، على إثر خلاف أخوة. انتقل قسم منهم إلى لوبية، وهم العجاينة، والأسم تحريف لعجلاني، من عجلون. وبقي قسم آخر في صماد في منطقة عجلون ويحملون اسم صمادي."

العائلات:

يعود تنظيم الفضاء الاجتماعي بموجب النظام العائلي والقبلي إلى عقود طويلة.[٢٥] الحمولة هي مجموعة من الناس تجمعهم رابطة تقوم على الاتفاق المتبادل وليست بالضرورة على رابطة الدم. قبيلتا الحمزات والعجاينة اللتان تشكلان حمولة واحدة رغم أنهما لا تنحدران من نفس الأصل، هما مثال جيد على ذلك. وكذلك الحال مع قبائل العثامنة والعصافرة والزعاترة؛ فجميعهم أعضاء في حمولة العطوات رغم أصولهم المختلفة. يقول أبو بسام من حمص، وقد تحدث مطولاً عن معنى الحمولة، إنه لم تكن في لوبية قبائل تجمع بينها روابط دم مثلما هو الحال عند العشائر.

وتعبر هذه الروابط الاجتماعية عن علاقات تضامن وتكافل، إذ يتعاون أعضاء الحمولة فيما بينهم في جلب المحاصيل من الحقل وما شابه، ويتحملون مسئولية جماعية في حالات القتل أو التعرض للأذى.

ومن المعروف أن الولاءات العائلية والقبلية لم تندثر مع بروز وانتشار الإسلام في القرن السابع عشر، بل اشتبكت مع الولاء الأعم للأمّة الإسلامية المتكونة. وما زالت هذه

---

[24] طاهر محمود حسين (أبو طلعت) من مواليد العام ١٩١٤. أجريت المقابلة معه بتاريخ ١ نيسان/أبريل ١٩٩٦، في إربد، الأردن.

[25] يتحدث ابن خلدون عن مفهوم العصبية، ويقول الباحث المعاصر إيكلمان إن العصبية أو "مشاعر الانتماء للمجموعة لا تحتاج إلى علاقات الدم، بل إن مشاعر التضامن تكون سابقة لأي نوع آخر من الروابط." أنظر: Dale F. Eickelman, *The Middle East. An Anthropological Approach*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1989, pp. 24-25.

الولاءات فاعلة بأشكال مختلفة في مناطق عديدة، خاصة كأداة لإضفاء الشرعية على العلاقات السياسية· في فلسطين عشية النكبة، على سبيل المثال، كانت هذه النظم سائدة في جميع المناطق الريفية·

ظل أبو محمد الكيلاني مهجّراً عن أرضه داخل إسرائيل، وقد روى لي حين قابلته في العام 1995 عن شبكات العلاقات الاجتماعية في القرية· كان يجلس على أنقاض منزله في لوبية· قال: "لوبية شبكة، الكل ماخذين ومنطين· الحمايل كلها شبكة· دار حسن العيسى كنتم ملاكين وفلاحين· لنا ثمان دونمات بين كرومكم اسمها كرم الشيخ صالح· كرومكم من كرمنا للغرب والشمال· كرومكم مسيّجة صبر وتين·"

"كان في البلد ثمان حمايل: الشهابية، العطوات، العجاينة، سملوت، الفقراء، الكفارنة، الحجاجوة، والشناشرة· دار علي ياسين الكفري من كفرا، ودار حجو من بلد اسمها [redacted] في قضاء الخليل، ودار صمادي من بلد اسمها صما في بلاد حوران·"

تعطي مذكرات أبو عصام صورة أكثر تفصيلاً عن كل حمولة وأعضائها، وتذكر الحمائل التالية: الشناشرة، العطوات، الكفارنة (حجو)، سملوت، الكرزاني، الكيلاني، الرفاعية· وقد انتشر أفرادٌ من هذه العائلات في قرى بجوار لوبية كما في فلسطين عموما، وكان يحدث ذلك إثر خلافات عائلية·

لقد انحدرت عائلة الشناشرة، بحسب مذكرات أبو عصام، "من أبناء رشدان وهم من نسل صالح· وهناك عيسى الرشدان خلف محمد الرشدان وهو أيضا نزح إلى سوريا وكانوا يشتغلون بالتجارة· وهناك أولاد الحاج قاسم وهو أيضا من أولاد الحاج صالح ونزحوا أيضا إلى سوريا، وهناك أولاد ياسين نزحوا أيضا إلى سوريا، وهناك آل غيث من نسل عزام، نزحوا إلى لبنان··· وقد اشتهرت عائلة الشناشرة بنفوذها في المنطقة كلها·"

"اشتهر الشهابية بأنهم كانوا رجال حرب· هم من لبنان من أتباع الأمير يوسف الشهابي الذي حارب الجزار ولكن الجزار غلبه وأسره· حكم الجزار على الأمير يوسف بالإعدام وأعمده، وأصدر حكم بالإعدام على خليل الإبراهيم ووالده وكذلك على علي الأحمد من العجاينة في لوبية، ولكنه عفى عن إبراهيم العزام وابنه خليل لتدخل الأصحاب ولكنه نفذ حكم الإعدام في علي الأحمد شنقاً في سوق الأثنين في الناصرة· وأما بنو شهاب فسكنوا أرض كفر كما التي لم تكن مسكونة في ذلك الوقت [لاحقا استوطنها الشركس]، وبقوا هناك حتى زمن عبد القادر الخليل الذي أحضرهم إلى لوبية وأعطاهم أرضًا·

"العطوات كانوا ثلاث عيل وهم العثامني والزعاتري والعصافري والسملوت، ويقال أن هؤلاء أصلهم من مصر من بلد سما اللوط· العجاينة يسمون الصمادية من قبيلة الصمّادية في شرق الأردن· وحجو اسمهم أيضا كفارني، ومنهم العايدي والكرزون· الرفاعية كانوا يسمون الفقراء أو الدراويش أصحاب طريقة وكان لهم زاوية يجتمعون بها· الكيلانية أو الزيتية أيضا أصحاب طريقة·"

"وقد نزح آل ياسين والحمزات من العجاينة في زمن تركيا إلى طبرية والأردن ومن الشناشرة شريف منصور إلى حيفا والذي خلف محمد شريف وأحمد شريف والذين أشتغلا بالتجارة· وكان محمد شريف كم أكبر تجار الحبوب في حيفا ومن أصحاب العمارات الضخمة وكان غنيّا وصاحب مركز في المدينة وله قيمة واعتبار، وخلف الأديب والحسن اللذيان تعلما في جامعة بيروت واخذوا شهادات رايقة وعرضة عليهم الوظائف فرفضوها حيث كانوا يعملون في التجارة مع أبيهم·"

تقول مذكرات أبو عصام أيضاً: "كان يسكن في لوبية أناس غرباء كثيرون مثل دار الطلوزي جاءوا من طلوزا قضاء نابلس في زمن تركيا واستوطنوا في القرية· ثم أولاد شرفان مصطفى ومحمود وعبد الرحمن وهم من سيلت الظهر، وآل شاهين وقد جاءوا من عرابة البطوف· وهناك عائلات من [كفر] اللبد قضاء نابلس، وعائلة الجمل من غزة، ودار الجليلة من عرابة نابلس وغيرهم·"

ويقول سميح جوهر الشهابي[٢٦] من مخيم اليرموك إن "الشهابية بالأساس من بني مخزوم من عشيرة بني شيبا· شاركوا في حوادث بلاد الشام في عهد محمود الدين الزنكي· طلب الزنكي من الأمير منقذ الشهابي أن يحمس السواحل اللبنانية ضد غزوات الصليبيين· وبعد المعركة منح الزنكي الأمير منقذ المنطقة الواقعة بين حاصبيا وقلعة الشقيف وصفد· تحالف الشهابيون مع آل جنبلاط وأرسلان ضد المعنيين، وانتصر الشهابيون في معركة عين دارة في العام ١٤٤٩ بقيادة الأمير حيدر·"

"جاء بعده الأمير يوسف واعتنى ببشير الشهابي الذي كان طفلاً· بشير غير دينه وقتل عمه وساد على الشهابية· بعد موت يوسف هاجر أبناؤه من حاصبيا إلى لوبية بقيادة الأمير قاسم والأمير حيدر· قاسم بقي في لوبية بينما انتقل حيدر إلى مصر واستقر في قرية تدعى [redacted] في منطقة السويس· اللوبيون الذين بقوا في لوبية حتى العام ١٩٤٨ من سلالة قاسم·"

---

[26] أجريت المقابلة مع سميح جوهر الشهابي في العام ١٩٩٥، في مخيم اليرموك للاجئين بدمشق.

"حافظ الشهابيون في لوبية على علاقات وطيدة بأمراء الجوار، مثل الأمير سعيد الجزائري ابن عبد القادر الجزائري، والزعيم السوري أحمد مريود من الجولان الذي زار لوبية عدة مرات، وكامل بك الأسعد، وسلطان باشا الأطرش. في العام ١٩٢٥ خلال الحكم الاستعماري الفرنسي في سوريا، طلب سلطان الأطرش من لوبية تقديم العون له في ثورته ضد الفرنسيين، فقدموا له ٣٥٠ جملا محملا بالحبوب والفاصوليا."

سلطان الأطرش كان زعيماً درزياً سورياً مشهوراً حارب الفرنسيين بشدة فيما يعرف بالثورة السورية الكبرى التي قادها بين الأعوام ١٩٢٥-١٩٢٦. أحمد مريود من جباثا الخشب في الجولان شارك في الثورة وقاد حملات ضد الفرنسيين بعد لجوء الأطرش إلى الأزرق عام ١٩٢٦، واستشهد في نفس العام. سكان الجولان المحتل الدروز أقاموا نصبا تذكاريا يدعى "المسيرة" في مجدل شمس عام ١٩٨٧، يحوي شخص سلطان في مركزه، بالإضافة إلى شخصيات أخرى مجردة تعبر عن شرائح اجتماعية وأجيال مختلفة. يقدّم "المسيرة" بمجمله فكرة استمرار إرث المقاومة الوطنية ضد الاستعمار في مسيرة نضال يتبلور فيها مجتمع الأمة الوطنية الحديثة.

ذكر أبو ماجد معلومات أكثر عن عائلة الحمزات التي كانت فرعاً من حمولة العجاينة المقيمة في الأردن اليوم. قال: "حمزة آغا هو من العجاينة. كانوا أربعة أخوة كبار، وهو أحد افخاذهم، فسموهم حمزات. أحفاده اليوم في الأردن واسمهم حمزات. كان حمزة آغا موالياً للأتراك وكان مسئولاً مع ابنه ياسين عن عكا. قاوموا إبراهيم باشا فلاحقهم حتى خرجوا من المنطقة. قبل خروجه ترك حمزة بناته وابن له صغير اسمه اسماعيل في لوبية مع دار العجاينة. وخلال ترحاله مرض له ابن آخر وهو في دمشق فتركه عند مختار كفر حارب في الجولان. وعندما قبض إبراهيم باشا على الولد قال له: وين أبوك؟ قال الولد: أنت أبوي... حنّ قلبه، ووداه على مصر. بقي في مصر بدار ابراهيم باشا عشر سنوات."

~~لا تشمل هذه المعلومات جميع اللوبيين نظراً لصعوبة الاتصال بهم في البلدان الثلاثة والعشرين التي يعيشون فيها اليوم.~~
(انظر الملحق الأول : العائلات كما يتذكّرها اللوبيون)

تحفظ أراشيف إسرائيلية عديدة وثائق عن البنية العائلية في لوبية، وهي عبارة عن تقارير

مخابراتية جمعتها الوكالة اليهودية والهاغاناة – المليشيا الأساسية لليشوف في فلسطين.[٢٧] كان الغرض من جمع هذه المعلومات عن العديد من القرى والبلدات العربية الاستفادة منها في عملية شراء الأراضي والاستيطان وكذلك في مخططات الترانسفير للسكان العرب الفلسطينيين.[٢٨]

يذكر ملف الهاغاناة عن لوبية ست عائلات رئيسية، ويفيد بأن الشهابية جاءت من تل شهاب في حوران وهي من العائلات الأولى التي توطنت في القرية، وكانت تملك ثلاثة أخماس أراضي وأملاك القرية وتعتبر ذات إمكانيات مادية متوسطة. ووصف الملف العطوات بأنهم ينحدرون من السكان الأصليين في القرية، بينما جاء الآخرون بالأصل من قرية عبود في منطقة رام الله. كان العطوات يملكون ثلثي الأراضي وأوضاعهم المادية جيدة، وتتكون حمولتهم من عائلتين الحجاجوة والشناشرة.

يذكر الملف أن "المعلومات عن العطوات تفيد بعدم وجود فساد بين أعضائها؛ إلاّ انه ثمة إشاعات عن اقتتال بين الحين والآخر والدليل على ذلك هو حقيقة أن هذه العائلات لا تثق في بعضها البعض." ويقدم الملف معلومات رقمية عن حجم كل حمولة. بموجبها، الشهابية والعطوات هما الأكبر وعدد أفراد كل واحدة منها قرابة خمسمائة شخص. تتلوهما الشناشرة وعدد أعضائها ثلاثمائة، فالعجاينة والفقراء وعدد كل منهما مائتين، والعصافرة والزعاترة وعدد كل منهما مائة وخمسين.

لقد ألهم المنفى العديد من اللوبيين على وضع خرائط لسلالاتهم العائلية، مثل أبو وليد في دمشق وأبو محمد الكيلاني في إسرائيل وأبو رفعت الصمادي في الأردن. إلاّ أن العائلات لم تحافظ جميعها على هذه التقاليد، كما انه من الصعب الاتصال بكافة اللوبيين في البلدان الثلاثة والعشرين التي يعيشون فيها اليوم، ولذا لم تشمل السلالات العائلية المذكورة هنا جميع اللوبيين.

ثمة ما يثير الإعجاب في النماذج المتوفرة لدينا، إذ تعود سلالة العجاينة، مثلاً، كما وضعها يوسف اليوسف[٢٩] (أبو وليد) بمساعدة معظم أعضاء حمولته، إلى القرن السابع ميلادي. يبلغ طول المخطوطة الأصلية لهذه السلالة تسعة أمتار بعرض أربعين سنتيمتر. وقد بادر ابن أبو ليد المهندس في نقلها إلى قطعة كبيرة من الورق على شكل شجرة

---

[27] لوبيا (قضاء طبريا) ١٩٣٤-١٩٤٤، مصدر سابق الذكر <بالعبرية>.

[28] لمزيد من التفاصيل والوثائق، انظر: Masalha, Nur. *The Politics Of Denial, Israel and the Palestinian Refugee Problem.* London: Pluto Press, 2003.

[29] يوسف اليوسف (أبو وليد) من مواليد عام ١٩٣٨. وهو أخ أبو سامح الصمّادي. أجريت المقابلة معه ومع إبراهيم الشهابي بتاريخ ١٣ تشرين أول/أكتوبر ١٩٩٨، في مخيم اليرموك للاجئين بدمشق.

عائلة. أما سلالة الشهابية فترجع نحو أربعة قرون إلى الوراء، وقد حفظها الابن سميح جوهر الشهابي عن أبيه وجده وبذل شهورا عديدة في تحرير المخطوطة الأصلية.

(انظر الملحق الثاني : أشجار عائلية مختارة)

يوجد بالطبع من ينتقد هذه التقاليد. أبو بسام مثلا تأمل بالجيل الجديد من المثقفين أن يهجر عقلية القبيلة والعائلة ويركز بما يفيد مستقبله فقط. يشعر أبو بسام بأن هذه الظاهرة تتعارض بشكل ما مع انتماء المرء إلى الوطن. قال:

"لا حاجة للكتابة عن بشير الشهابي وأصل العائلة. لا نفع من العودة مئات السنين للتحقق من الأصول. يقولون أن أصل عائلتنا يعود إلى بني هلال بن عامر بن سعسعة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معاد بن عدنان. هذا ما يذكره عارف العارف في كتابه قبائل بئر السبع. إلاّ أنني أشك في صحة هذا القول، فقد ذكر المؤلف نفسه أن معلوماته ليست من مصدر أولي. الدباغ يختلف معه فيعيد العطوات إلى معاذ بن بكر بن وائل ربيعة بن نزار بن معاذ بن عدنان. أيهما الأصح؟ ليس بالإمكان الإجابة على هذا السؤال".

إن ما يفسر موقف أبو بسام هذا هو انتماؤه إلى جيل عاش نمطا من العلاقات الاجتماعية تجاوزت نظام الحمولة، وهو ما لم يجربه جيل أبو ماجد إبراهيم الشهابي وأبو وليد يوسف اليوسف.

الشيوخ والمخاتير:

كان الشيوخ والمخاتير رؤساء لمجتمعاتهم ووسائط مع السلطات، إن كانت العثمانية أو البريطانية أو تلك التابعة للاستيطان اليهودي. والحصول على لقب الشيخ كان يستوجب على المرء أن يكون في علاقات طيبة مع أعضاء حمولته ومجتمعه الأوسع. كان لكل حارة شيخها، ويطلق عليه لقب شيخ الحمولة، ينيب عنها في السراء والضراء. قال أبو ماجد: "لكل شيخ كانت مضافة أو منزول للغريب والضيف إللي بيجي على الحمولة. الشيخ له مشيخة على البنت اللي تتزوج من غير حمولة خمس ليرات فلسطيني. واذا تزوجت خارج البلد عشر ليرات. في قلب الحمولة ليس له مشيخة."

وقال أبو ماجد عن الشيخ أبو أحمد (علي أحمد الرُحيِّل)، إنّه كان يجلس في ساحة مقام أبو غازي شرقي البلدة ، و"يضع البرغل في القدر والناس مروّحة من الحرات، وينادي:

العيش يا جوعان، تفضلوا· الله يديم الشيخ علي الأحمد··· كان مرجع يحلّ أي مشكلة ومفوض من الدولة العثمانية· وصل حكمه إلى صفد· عمل تكية في صفد· وله ولد وبنت"·

وإنّه "من محاسنه أنه كان ينزل أيام الربيع إلى المزروعات· كان يسجل في مفكرته أسماء الذين لم يعشبوا في الليل· فلان جيبوه· يرسل اثنين لجلبه إلى المضافة· يضربه بالكرباج، ويقول له: جلدك لقشّره·" لدى سماع احد الحضور لهذه القصة اعترض على تسجيلها، فقلت له: على العكس، إنها قصة جيدة·

حسب اللوبيين الذين قابلتهم فإن أسماء آخر عشرة شيوخ في القرية هي كالتالي:
عجاينة: محمود حسين عيسى (أبو صالح)
كفارنة أو حجاجوة: احمد سليمان حجو (أبو زكي)
سملوت: إبراهيم ذياب حمدان (أبو ذياب)
عطوات: حسن أبو دهيس (أبو مصطفى)
عصافرة: يوسف موسى الذياب (أبو محمد)
زعاترة: حافظ عيسى المحمود
شناشرة: خليل عبد القادر
الكيلانية والرفاعية: غريّب أبو إسماعيل
عوايدة: نايف اليونس (أبو عبده)
الشهابي: لهم الشيخ فواز العلي و المختار يحيى السعيد

كان حصول المرء على لقب مختار يحتاج إلى موافقة السلطات، وكان المخاتير مسؤولين عن العلاقات مع القرى المجاورة، بما يشمل علاقات التجارة وتقديم العون عند الحاجة· وعلى سبيل المثال، حضر مخاتير من لوبية اجتماعاً رفيع المستوى مع الشيخ عز الدين القسام في العام 1935· وكان ابن المختار ينيب عن المختار في مسائل اقل أهمية·

كان المختار يلقب كذلك بالشيخ من قبل أبناء حمولته احتراما، ويكون عادة أثرى من باقي أفراد الحمولة· منحت المخاتير علاقاتهم بالسلطات فرصا أوسع للنشاطات التجارية· مصطفى أبو دهيس مثلا، وهو ابن المختار حسن أبو دهيس، كانت له علاقات مع موظفين ورجال أعمال بريطانيين ويهود· عيّنه البريطانيون مسئولاً عن شراء الخيل والطعام وكان شريكا مع عائلتين يهوديتين بالتجارة في طبريا· ثمّ أصبحت هذه العلاقات مصدرا للخلاف في القرية·

كان منصب المختار ينتقل عادة من الأب إلى الابن· أبو طلعت مثلاً أصبح مختار اللوبيين في اربد بعد وفاة والده· كان للمخاتير معاونين يلقبون بالنواطير، يشكلون حلقة الوصل بينهم وبين الناس· أخبرني أبو ماجد بعض القصص عن النواطير في لوبية: "كان شخصان يعملان عند المختار خليل العبد نواطير· كانوا يكنسوا الشوارع بالشهرين مرة، ويوصلون أخبار الناس للمختار، هما عوض قطامش وعبد الله أبو الشيخ··· وحين يزور القرية طاقم طبي كانوا يدوروا في الشوارع بعد المغرب وينادوا: يا فلاحين، يا أهل البلد··· نهار الإثنين بدو يجي الدكتور عند دار المختار· كانوا يطلعوا عن المختار ناس أجانب معهم أدوية كل ٤ أو ٥ أشهر· كانوا اثنين انكليزيات وواحدة عربية مسيحية، معهم إسعافات أولية، قطرة، دهون· الناطور يحمل الشنتة ويوصلهم، والناس تطلب منه دواء، فيقول لهم: إحنا الموظفين مش صايرلنا، تيعطوكوا انتو·"

كان الناطور يجوب البلد وينادي على غرض ضائع أو بقرة تائهة: "يا سامعين الصوت، صلّوا عالنّبي، أوّلكُ محمد، ثاني علي، يا مين شاف هالبقرة الضايعة، واللي بيلاقيها له حلوان· كذا·"

"ذياب دندش أجا من بعلبك في لبنان، سكن المغار، وعمل ناطور في لوبية على زمن الأتراك· كان لما يجي الأتراك وراء شخص من أجل العسكرية كان يحذره ذياب بالغناء: وإن كنّك فرّاري فر، وإن كنّك فرّاري فر، على دلعونا على دلعونا· كان يختار أغنية معروفة ويغير فيها بعض العبارات ليفهم الشخص· وبعدها يكمل الأغنية كالمعتاد·"

كان المختار يعين من خارج القرية حتى أوائل القرن التاسع عشر· يقول أبو ماجد "كانت لوبية توظف مختار من قرية حطين لمدة عام كل مرة· يجمع له الناس أجره بكل سرور لأنه كان يجيد القراءة والكتابة· ثمّ قرروا الاستغناء عن خدماته لأنه كان كلما تشاجر مع أحد يغادر القرية· اجتمع رجال العجاينة وقرروا جلب قريب لهم هو الشيخ علي أحمد الرُحيّل (أبو احمد) وهو أحد الأخوة الأربعة الأوائل وكان يعيش في قرية الشونة· كان اللوبيون يبيتون عنده في الشونة في طريقهم إلى شرقي الأردن"·

"حوالي سنة ١٨١٠ جاء علي أحمد الرُحيّل إلى لوبية· طلب من العجاينة أن يكون مع صلاحية تامة كشرط· قبل العجاينة وبنوا له مضافة كبيرة اسمها العقد تتسع لمائتي رجل· كان شيخ على لوبية كلها· كان الفلاحين يزرعوا له يوم كامل ووقت الحصيدة يحصدوا له·"

وبحسب رواية أبو ماجد، قدّم الرحيّل العون لإبراهيم باشا ضد الأتراك بعد احتلاله الناصرة[30]. قال أبو ماجد: "هذا ما ذكر في تقرير عنه قدمه إلى العثمانيين شخص من قرية طرعان من عائلة العدوي. عندما انسحب إبراهيم باشا في العام 1848 أعدم الأتراك الرحيّل وابنه." ويذكر أبو سامح أن موت الرحيّل كان في العام 1832\1833 ، وأن شخصاً من عائلة عبد الهادي نفذ حكم الإعدام.

وقال أبو ماجد: "بقيت للرحيّل بنت واحدة. جاء عادم أبوها من بيت عبد الهادي يريد خطبتها. أمها رفضت، قالت: هذا عادم زوجي، ففرض على العجاينة غرامة أو جزاء مبلغا ضخما وإلا يسوقهم إلى السجن. قامت أمرأة علي الأحمد جابت ذهبها وأعطته. وزوجت ابنتها إلى ياسين الحمزة العجاينة وكان قائمقام طبريا."

"بعد موت علي أحمد وأبنه، العجاينة وضعوا شخص اسمه يونس العلي مختارا للوبية كلها. وخلف يونس العلي قواطين وخليل العابد. وحين استقال خليل العابد من وظيفة المختار عيّن البريطانيون حسن أبو دهيس والد مصطفى دهيس، ومن ثم يحيى سعيد وسليمان عطية."

عرف أبو محمد الكيلاني المختار حاج خليل، والد أبو عصام، شخصيا وكنّ له الاحترام الشديد وتحسر على الحياة البائسة التي عاشها الحاج: "تاريخ الحاج خليل عندي. بعد 1948 أقام عندي في عرابة، وانتقل بعد أن اشتد مرضه للسكن عند ابنه في الناصرة. واجه مشاكل في البيت وعاد إلى عرابة. سكن عند عمي الحاج احمد الشناشرة. وجدنا له منزلا بجنب بيت عائلة ياسين. نقلناه إلى المستشفى. توفي بعد أسبوعين ودفنته البلدية بعد ثلاثة أيام. كان وجيه. كانت أهل فلسطين كلها كانت تحترمه كبار وصغار." توفي وحيدا في المستشفى في العام 1952 عن عمر يناهز الخامسة والستين.

تذكر وثائق الهاغاناة ثلاثة مخاتير أساسيين في لوبية في 1943-1944.[31] أحدهم هو خليل العابد من العطوات. يقول التقرير إنه كان مختاراً مسناً عيّنه البريطانيون وكان مقبولاً على سكان القرية، وإنّه شغل منصب رئيس المجلس المحلي في لوبية. المختار الثاني هو حسن أبو دهيس. عينته السلطات البريطانية أيضا، وهو شخصية معروفة على نطاق واسع ومقبول جداً على السكان. تزوج مع ابنة سعيد أفندي من طبريا فأصبح له بسبب ذلك نفوذ في منطقة طبريا. أما المختار الثالث المذكور في وثائق الهاغاناة فهو

---

[30] يكتب المؤرخ الإسرائيلي إيلان بابه عن إبراهيم باشا أنه ترك "أقوى انطباع من بين محتلّي فلسطين. حكم البلاد باسم أبيه [محمد علي، والي مصر]، أدخل الإصلاحات الزراعية، ونظام جباية الضرائب المركزية، وحمى طرق المواصلات وأدخل نظاماً تشريعياً أنصف فيه النخب المحلية". Ilan Pappe, *A History of Modern Palestine, One Land, Two Peoples. Cambridge: Cambridge University Press, 2004, p. 3.*

[31] **لوبيا (قضاء طبريا) ١٩٤٣-١٩٤٤**، مصدر سابق الذكر <بالعبرية>.

يحيى سعيد من عائلة الشهابي· عُيّن من قبل البريطانيين أيضا، وكانت تربطه بهم علاقات عمل جيدة·

يحوى التقرير كذلك قائمة بأسماء مخاتير كل عائلة في لوبية: مخاتير الشهابية كانوا يحيى السعيد وفوزي العلي، مختار العطوات كان حسن أبو دهيس· للعطوات كان فرعان: الحجاجوة ومختارهم أبو أحمد سليمان والشناشرة ومختارهم حاج خليل العابد· كان مختار العجاينة محمود حسين، ومختار العصافرة يوسف الموسى، ومختار الزعاترة حافظ العيسى، ومختار الفقراء غريّب المغاوش·[٣٢]

[32] نفس المصدر.

LUBYA
Dedicated by the Honourable Minister
Ronnie Kasrils
(Minister of Water Affairs and Forestry)
to the Palestinian village of LUBYA
upon whose ruins a forest was built
where cows were permitted to graze
but the displaced occupants
are not allowed to return.
18/11/2003

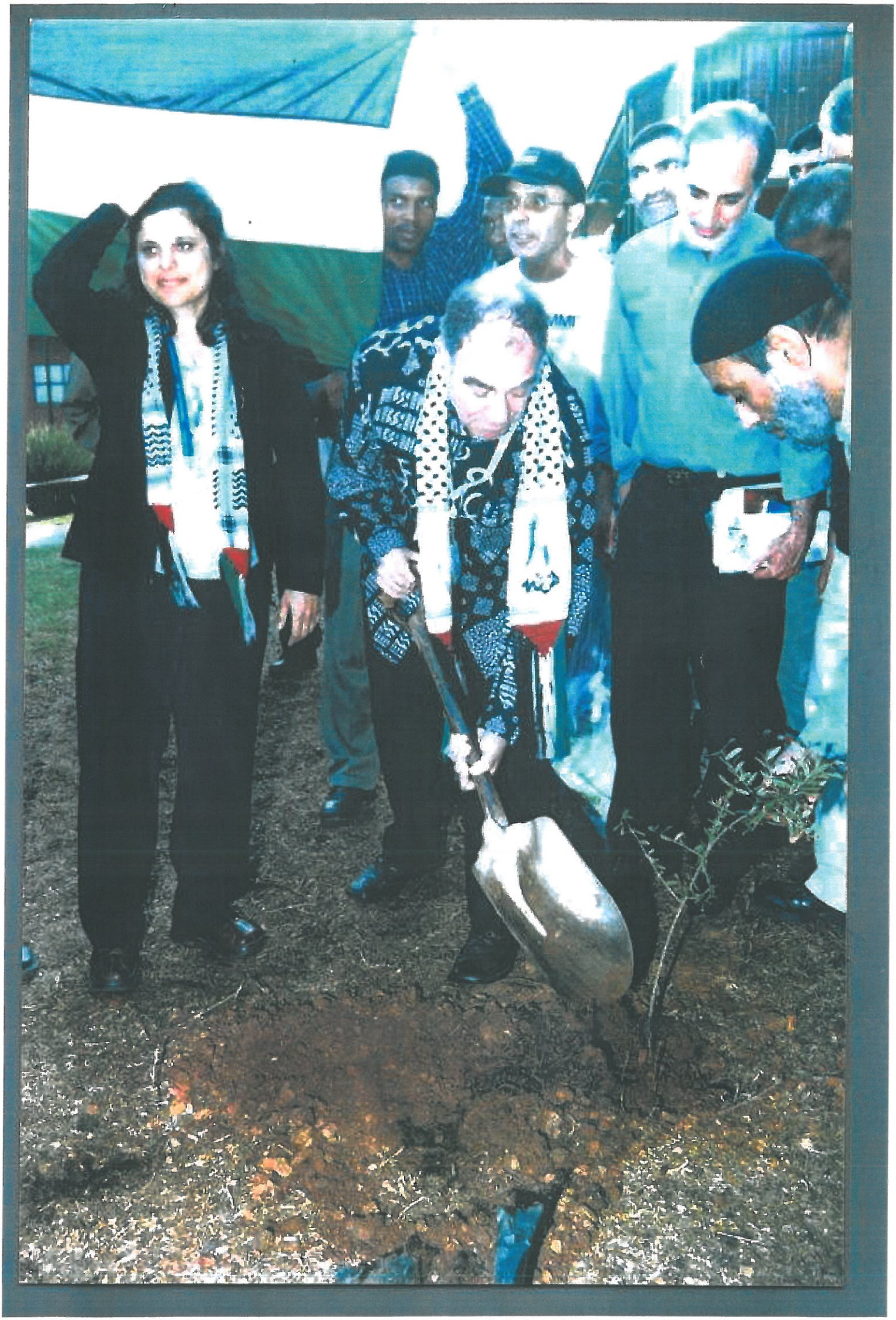

الفصل الثالث

المشهد

ها أنا ما زالت حيّا كما ترى
لكني كرجل يحمل قطعة أجرٍّ
ليرى الناسُ كم كان بيته جميلا
(برتولت بريشت)

مازال اللاجئون يشعرون بالارتباط مع قطعة الأرض التي يسمونها لوبية، يحفظونها في ذكريات مستديمة. لقد دمرت القرية ومحيت في خارطة إسرائيل الحالية، لكن آثارها ما زالت قائمة في أنقاض بئر هنا وهيكل حقل هناك، في أشجار الزيتون والصبار وحجارة القبور. ذكريات ذلك المشهد هي جزء من تكوين هوية المهجرين اللوبيين، سواء كانوا بجوار لوبية أو بعيدين عنها في بلاد المهجر الأوروبية والأمريكية.

كتب يوسف اليوسف، المقيم حاليًا في مخيم اليرموك، عن لوبية بأسلوب شكسبيري يبعث النبض في الأزهار والأعشاب والأشجار والتلال ويضفي على المشهد خصائص عالم البشر والآلهة القديمة: "...كلما استمثلت الجرمق أو تذكرته بعد الهجرة، فإنه لا يحضر في وعيي – حتى الساعة الراهنة – إلا كوثن بدائي ضخم مشبع بالأنفة والاستعلاء المهيب... وكثيراً ما تساءلت عن السبب الذي منع الوثنيين القدماء من عبادة الجبال السامقة التي هي أحق المرئيات بالتكريم... كنت دوما [في صغري] أعزي نفسي بأنني سوف أتسلّقه يوم أصبح شاباً."[33]

وحين زار يوسف محمد عيسى[34] لوبية لأول مرة بعد ستة وأربعين عاماً في المنفى تذكّر كل قطعة أرض وأراني وهو يتجول بين أنقاض البيوت، أماكن خمسة آبار مدمرة. وجد في البداية أربعة، ثم قام بالحفر بيده بضع سنتيمترات بحثاً عن الخامسة فوجدها. ذهلت

---

[33] يوسف سامي اليوسف، "إفادة شاهد عيان: مذكرات قرية ١"، في مجلة الحرية، ١٩٨٨/٢/٢١. ص. ٥١.
[34] يوسف محمد عيسى من مواليد العام ١٩٢٠. أجريت المقابلة معه بتاريخ ١٥ كانون ثاني/يناير ١٩٩٥، في كوبنهاغن بالدنمرك.

لهذا الأمر ولمقدرته العجيبة على تذكر قطعة من الحجر مع مسمار حديدي صنعت غطاءً للبئر. قال: "رغم كل ما فعلوه في هذه الأرض لن يمحوا ذاكرتي حتى ولو بعد مائة عام".

وخلال المقابلات التي أجريتها مع أبناء لوبية استذكروا ما مجموعه مائة وستة وعشرين قطعة أرض بالاسم، بالإضافة إلى ستة كهوف وتسع مقامات. تضفي هذه الذكريات الشخصية معان خاصة على كل قطعة أرض وتتيح إلقاء نظرة فريدة على حياتهم الاجتماعية على مدار قرون قبل المنفى في العام 1948.

أصول التسمية:

ثمة مراجع عديدة تذكر أصل تسمية لوبية. يقول المؤرخ العربي ابن القط، إن لوبية هي نوع من الحبوب إذا انتهت بالألف، واسم مدينة في مصر بين الاسكندرية وبرقة إذا انتهت بالتاء المربوطة.[٣٥] ويقول مؤرخ آخر، هو أبو الريحان البيروتي، إن لوبية اسم كان يطلق على البلاد الواقعة جنوب مصر في تقسيم الاغريق للارض إلى ثلاثة أجزاء هي مصر في الوسط، وصورقي وآسيا.

ويقول الباحث إحسان حقي إن لوبية كلمة يونانية تعني "بلاد البيض"، وهي مناطق تقع اليوم في ليبيا شمال ما كان يعرف ببلاد السود (مثل اثيوبيا).[٣٦] ويقول أحمد داود إن ليبيا اسم ابنة ملك صور.[٣٧] المؤرخ الفلسطيني المعروف مصطفى الدباغ يقول إن لوبية اسم نبات وكذلك اسم مدينة اغريقية قديمة.[٣٨] يذكر الدباغ مرجعًا تاريخيًا بعنوان الضوء اللامع يثبت العلاقة بين العلامة الشهير ابو بكر عبد الرحمن ابن الرحال ابن منصور اللوباني وبين قرية لوبية.[٣٩]

ويقول أبو عصام في مذكراته إن كلمة لوبية جاءت من كلمة لبوة، وقد سميت كذلك لموقعها الممتنع على تلة تحيطها السهول كأنها قلعة حصينة. أما أبو ماجد فقال إن الاسم بالأصل هو الجَبر (من جدير بالشيء)، وهذا ما نقله شفويا كامل الهوين من قرية الشجرة عن الكاتب والشاعر والشيخ علي أحمد الشجراوي.

---

[35] ابن القط، مذكور في **معجم البلدان لشهاب الدين الحموي الرومي البغدادي**، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٧٥، ص٢٥٠.

[36] إحسان حقي، **الجزائر العربية: أرض الكفاح المجيد**. بيروت: المكتب التجاري، ١٩٧١، ص. ١٥، مذكور عند الشهابي، مصدر سابق الذكر، ص. ١١.

[37] أحمد داود، **العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود**. دمشق: دار المستقبل، ١٩٩١، ص. ١٣، مذكور عند الشهابي، مصدر سابق الذكر، ص. ١١.

[38] مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين**، الجزء السادس. بيروت: جار الطليعة، ١٩٦٥، ص. ٤٢٤.

[39] نفس المصدر.

إبراهيم شهابي، وهو صاحب أول كرّاس عن لوبية نشر في العام 1954، قال لي إن الاسم ذُكر ثلاث مرات في الجزء الثالث من كتاب الروضتين لأبو شامة المقدسي في القرن الثالث عشر. ويذكر اسم لوبية كذلك في قصيدة كتبت احتفاء بالانتصار على الصليبيين، تقول: "أما رأيتم فتوح القادسية في أكناف لوبية تجلّى وذا عمرو."

وتذكر مصادر يهودية تفسيرات أخرى لتسمية لوبية. يقول دليل إسرائيل الرسمي إن الاسم هو لبلدة يهودية من الحقبة الرومانية البيزنطية وقد حفظه الاسم العربي.[٤٠] أما القاموس الاثنولوجي الشامل للغة العبرية فيزعم أن أصل الكلمة يعود إلى المصدر العبري لابَن، ويعني ابيض، وكذلك للكلمة العربية اللبن.[٤١]

بعد النكبة عام 1948 اختفى الاسم لوبية من الملفات الإسرائيلية الرسمية وأقيمت على أراضي القرية مستوطنة يهودية جديدة باسم لافي. وهذه حالة واحدة من بين ما يقارب تسعة آلاف اسم لقرية ووادي وجبل وأماكن أخرى تم تحريفها إلى العبرية. ترافقت هذه العملية مع بلورة مزاعم صهيونية حول ملكية المكان.[٤٢] وبات جراء ذلك عدد قليل جدا من الإسرائيليين يعرفون الأسماء العربية الأصلية لقرى اللاجئين الفلسطينيين.

الموقع ومعالمه

تقع لوبية عشرة كيلومترات ونصف إلى الجنوب من مدينة طبريا على الطريق المؤدية إلى الناصرة. وقد بنيت القرية على تل ارتفاعه ٣٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر. كانت أراضيها تمتد في السهل شرقا وتصل تل يدعى جبلة ارتفاعه ٢٩٤ متر فوق سطح البحر. كانت لوبية أكبر قرية في قضاء طبريا في حقبة الانتداب البريطاني على فلسطين، وكانت تعتبر من القرى الكبيرة في فلسطين. في العام ١٩٤٦ كانت مساحة أراضيها ٣٩،٦٢٩ دونم، ومساحة القرية ذاتها ٢١٠ دونم.[٤٣] ويذكر ملف أعدته الجهات الصهيونية بهدف شراء الأراضي والاستيطان في فلسطين، أن مساحة أراضي القرية تبلغ إجمالاً ٢٢،٠٠٠

---

[40] *The Official Guide to Israel.* Tel Aviv: The Ministry of Defence, Carta, Israel Maps and Publishing Co. Ltd., p. 287.

[41] Ernest Klein. *A Comprehensive Ethnological Dictionary of the Hebrew Language.* Jerusalem: Carta, 1987, p. 292.

[42] لمزيد من المعلومات عن عملية تغيير التسميات، أنظر: ميرون بنفنستي، **المشهد المقدس، طمس تاريخ الأرض المقدسة منذ عام ١٩٤٨**، ترجمة د. سامي مسلم. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، ٢٠٠١. تعود عملية عبرنة الأسماء إلى ما قبل قيام إسرائيل وهي الفترة التي يخصها بنفنستي في كتابه. بحوزة المؤلف نسخة عن وثيقة أرشيفية مكتوبة بالفرنسية تعود إلى الأربعينات، تنصح بعدم استعمال كلمة "سرجونية" (اسم قطعة أرض في لوبية) كاسم لمقر جديد في مستوطنة حزاريم، لأن الاسم يعود لملك كان معاد للإسرائيليين القدماء. أنظر ملف J15/7591 في الأرشيف الصهيوني بالقدس.

[43] *Village Statistics 1945, A Classification of Land and Area Ownership in Palestine.* Beirut: Palestine Liberation Organization Research Center, 1970, pp. 72 and 172.

دونم، منها خمسة آلاف وصفت بأنها غير صالحة للاستغلال الزراعي· ويلاحظ التقرير أنه تم لاحقا استصلاح وزراعة مائتي دونم من المساحة المذكورة·[٤٤]

تقدم كتابات الرحالة والمستكشفين الأجانب أوصافا غنية وشروحا عن المواقع التاريخية والدينية والأثرية في لوبية، لكنها لا تأتي على ذكر اللوابنة أنفسهم، إلاّ فيما ندر· ويقول المؤرخ إيلان بابه إن عدد الكتب ومحاضر الرحلات المنشورة عن فلسطين من قبل الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر، يزيد عن ثلاثة آلاف، جميعها يرسم "صورة لأرض متخلفة تنتظر الخلاص على أيدي الأوروبيين"[٤٥]· لكن هذا السجل الاستشراقي يبقى بمجمله مصدرا مهما للمعلومات، خاصة وأن اللوابنة أنفسهم لم يتركوا آثاراً مكتوبة عن بلدهم في تلك الفترة·

وصف الرحالة البريطاني ج· س· بكينغهام، الذي زار فلسطين في أوائل القرن التاسع عشر، لوبية بأنها قرية كبيرة تقع على تلّ مرتفع·[٤٦] وذكر الرحالة السويسري جوهان لدويغ بركهاردت نبات الأرضي شوكي البري الذي يغطي سهول القرية· وكان بركهاردت قد لُقّب بالشيخ إبراهيم نظرًا للحيته الطويلة وطربوشه وملابسه العربية التي كان يرتديها خلال رحلته· يكتب:

"··· من هناك يستمر الدرب بتدرّج خفيف نحو أخفض منطقة تدعى أرض الحمى [والحمى أوسع سهول القرية]· تكتسي المنطقة كلها بأشواك المُرار· بدأنا ثانية بالصعود من الطرف الغربي لأرض الحمى، نحو قرية كفر سبت على بعد ساعتين ونصف من طبريا··· يقع على بعد نصف ساعة نحو الشمال الشرقي في واد عميق عين الذامي (تعرف عند اللوابنة بالدامية)· هناك يمتد سهل واسع إلى سفح جبل طور، رأينا خلال عبورنا فيه قرية لوبي على بعد ثلاثة أرباع الساعة تقريبًا على يمين الطريق، وبعدها بقليل قرية الشجرة· كان السهل مكسوا بالأرضي شوكي البري المعروف بالخب؛ [وهو نبات] يحمل زهرة أبرية ليلكية اللون بشكل [الخرشوف]، على ساق طوله خمسة أقدام·[٤٧]

يصف مسح غربي فلسطين Survey of Western Palestine لوبية بأنها قرية حجرية تقع على قمة تلّ صخري:

---

[44] لوبية (قضاء طبريا)، ١٩٣٤-١٩٤٤، مصدر سابق الذكر <بالعبرية>·

[45] Ilan Pappe, *supra* note 42, pp. 34-35.

[46] James Silk Buvkingham, *Travel in Palestine.* London: Longman, Hurst, Rees, Orme and Brown, 1821, p. 491. [redacted] انظر كذلك: **كي لا ننسى**، مصدر سابق الذكر

[47] John L. Burckhardt, *Travels in Syria and the Holy Land.* London: John Murray, 1822, pp. 332-333. وقد أورد الكاتب أسماء القرى بالعربية أيضا، وذكر بيوت شعر لعرب الصبيح الذين وقعت بينهم وبين اللوبيين صدامات عديدة·

"لوبية – كهوف، أضرحة، sarcophagi ؛ لقد تمت ملاحظة عدة معاصر حجرية للنبيذ وأحواض ماء، مما يدل ربما على موقع قديم· ثمة صورة فوتوغرافية لبيت في لوبية "مبني من حجارة مقطعة بحجم متوسط [...] يبدو أنها مأخوذة من كنيسة مسيحية قديمة – غورين·"

وقد ذكرت لوبية أيضًا في دليل بديكر لفلسطين وسوريا (١٨٩٨):

"يتجه الطريق من كفر كنا شرقًا ويقطع سهلاً واسعاً خصباً جيد الاستغلال يعرف بوادي رمانة، وهو فرع من سهل البطوف· يمكن رؤية طرعان على مسافة ٥٠ دقيقة على جهة اليسار· وخلال ساعة نجتاز آثار خربة مسكنة ونسير شرقا فنرى بعد عشرين دقيقة لوبية على جهة اليمين· في ابريل عام ١٧٩٩ حارب الفرنسيون بقيادة جانوت القوات التركية المتفوقة بالقرب من لوبية· ومن ثم نصل (بعد ٢٣ دقيقة) آثار خربة لوبية، نجتاز طريق القوافل (يظهر في الشمال قرن حطين [...])، نقطع منطقة جبلية نحو الشرق (١ ساعة و٢٥ دقيقة) إلى الجبال فوق طبريا التي تبعد ساعة·"

أقيم في الحقبة العثمانية خان على بعد كيلومترين من لوبية، وكانت في نفس الموقع بركة مهدمة وآثار بيوت قديمة· وقد عرفت لوبية كموقع للتنقيب الأثري، واكتشف تحتها العديد من الكهوف والممرات التحتية.[٤٨]

ويذكر دليل موراي للسائحين في سوريا وفلسطين من أوائل القرن العشرين لوبية بشكل موجز:

"... نمرّ بجانب لوبية إلى اليسار، وتقع على تلّ صخريّ منخفض، محاطة بأشجار الكمثرى الشائكة· يوجد في هذه القرية العديد من الكهوف والأضرحة والتوابيت الحجرية، ومعاصر نبيذ حجرية وأحواض ماء، ولذا من المحتمل أنها تقوم على موقع قديم ذات أهمية... بعد عبور طريق القوافل من دمشق إلى القدس ومصر، وهو طريق تقع على جانبيه آبار مياه عميقة، نطل على سرج... قرون حطين، الموقع الشهير لانتصار صلاح الدين على الصليبيين في الخامس من تموز عام ١١٨٧· وقد جرت المعركة ذاتها على الهضبة المتموجة بين حطين ولوبية والتي تجتازها الآن· كاد الصليبيون يبادون تمامًا في حربهم البائسة·"[٤٩]

---

[48] **لكي لا ننسى**، مصدر سابق الذكر، ص ؟؟؟

[49] John Murray (Firm), *Handbook for Travellers in Syria and Palestine.* Mary Brodrick (ed.) London: E. Stanford,1903,p. 244.

وتذكر المصادر الصهيونية لوبية كقرية عربية "تقع على طريق طبريا–الناصرة، وكان يقع على مسافة كيلومترين منها خان· البيوت مبنية من حجر، والسطوح من خشب أو إسمنت· وللقرية سياج من أشجار الصبار· هناك واديان يعرفان بالعلاقة والحمة·

وبخلاف كتابات الرحالة والباحثين وموظفي المخابرات الصهيونية، تنبعث من ذكريات اللوابنة صورا مفعمة بالحياة والتفاصيل والمشاعر التي تعبّر عن العلاقة بين القرويين ومكانهم الأصلي· تمّام عجايني (أم حسن) قضت نصف حياتها في لوبية، والنصف الآخر في مكان لجوئها في دير حنا داخل إسرائيل، لكنها ما زالت تقول إن "لوبية أمّ البلاد"· إنّ ذكريات أمّ حسن تقاوم الذبول والتبدد، ومشاعرها تجاه الناس مليئة بالعاطفة والحب· حين علمت أن عندي ابنتان، قالت لي: "الله يكون بعونك"· ثمّ أصرت قبل مغادرتي دير حنا أن تعطيني ألفي شاقل من مدخراتها من أجل ابنتاي· أخذت النقود منها لكي لا اجرح مشاعرها، ثم أعدتها عن طريق زوج ابنتها· توفيت أم حسن عن عمر مائة عام·

لقد عبّر أبو ماجد عن علاقته بلوبية في القصيدة التالية:

يا زائر إن رحت لبلدك زيارة
بوس ترابا بوس لِحْجارا
إذا ميّلت عَ لوبية العذبة
بيحزنك يا زائر منظر آثارها
شمّل على الحارة الشمالية
وزور لبْلاد حارة بعد حارة
لما جربت القوات الإسرائيلية
على لوبية تشن غارة
دبّابات وطيارات ومدفعية
ورشاشات تزخّ بغزارة
كان العدد واحد لميّة
ودارت المعركة من دارَ لدارا
وبقينا بحلوقهم شوكة قوية
قاطعين الطراق مشددين الحسارا
إلى إن إجت القوات القاوقجية
سلّمتنا بأمر مدروس وصادر قرارا

يصف أبو عصام في مذكراته أن لوبية تقع "على طريق القوافل بين الشام ومصر وجنوب فلسطين وطريق القوافل الآتية من حوران إلى الساحل، حيث هناك مدينة عكا التي كانت

مركزاً تجارياً بين البر والبحر· فهناك طريق تمر من لوبية بين الشمال والجنوب تسمى طريق الشوام نسبة إلى الشام· والطريق الذي يأتي من حوران يسمى طريق حوران· فكانت هذه القوافل تمرّ من لوبية شرقاً غرباً وشمالاً جنوباً تحمل الحبوب من حوران إلى عكا، والبضائع من الشام إلى مصر ومن مصر إلى الشام·" وقد لعب موقع لوبية لاحقاً دوراً في علاقات القرية بالقوات البريطانية واليهودية·

ويرد في مذكرات أبو عصام أنه "كان بجوار القرية من جهة الشرق بركة ماء تتجمع فيها مياه الأمطار، كما تتجمع في البرك الأخرى المنتشرة في بقية البلاد· لكن هذه البركة كانت مبنية جدرانها بالحجارة ورغم تعاقب السنين كانت لا تزال قوية البنيان·"

وأن "أرض لوبية تمتد غربًا من طرعان إلى طبريا ويمه وبيت جن، وهي واسعة خصبة سهلية تربتها سوداء بركانية اشتهرت بزراعة الحبوب التي كانت من أجودها وكانت تصدّر هذه الحبوب إلى مدن الناصرة وعكا وحيفا على القوافل وفيما بعد بالسيارات· وكانت تزرع موسم صيفي وموسم شتوي ويوجد هناك في سهل الحمى من جهة الجنوب الغربي خربة دامية، جنوب غرب سهل الحمى، وفيها ينابيع غزيرة تنبع من سفح جبل التل، وفيها بركة قديمة تصب فيها هذه الينابيع وكانت تكفي لسقي مواشي البلد من جمال وأبقار وأغنام في موسم الزرع والحصاد وهناك بعض البساتين التي كانت حول الخربة تسقى من هذه المياه·"

"وإلى الجنوب من السهل على سفح الجبل هناك مقام بستوم·" كان الفلاحون يضعون عدة العمل في المقام لأن اللصوص كانوا يخافون دخول المقام· كانوا يعتقدون أن الله سيعاقبهم إن فعلوا· عندما زرت لوبية في العام ١٩٩٩ نبهني رفيقي بألاّ أدخل إلى المقام الذي مازال قائمًا·

ويرد في المذكرات أيضا:

"وسهل الحمى فيه ينابيع في أرض بصاص ووادي النس الذي استخرج منه اليهود بئر ماء يسقي أرض المستعمرين· وسهل الحمى فيه أيضا إلى الشمال خربة سرجوني وهي مأخوذة من كلمة سرجنت الرومانية وتعني لقب شاويش ويظن أنها كانت مركزا حربيا يقيم فيها سرجنت روماني، وهذه سكنها أخيرا عرب الخوالد وهناك آثار في أرض التل الواقع إلى الشرق من قرية لوبية وفي أراضيها يدل على أن هناك كانت مدينة مسكونة· امتدت أراضيها حتى حدود طبريا في تل المعون، وكانت هذه الأرض الجبلية لعائلة الطبري (الشيخ سعيد الطبري)· وإلى شرقي هذه التلة تقع أرض المنارة وهي سهل واسع يطل على طبريا وسهل الحمى المنبسط· وإلى الشمال وصلت حدود أرض لوبية إلى قرن حطين، وإلى الغرب أراضي طرعان والشجرة، وإلى الجنوب أراضي الشجرة وكفر سبت·"

Comment [MF16]: CHANGE A
to: ابو سميح

Del: ١

أحمد خليل جودي (أبو سهيح)[50] كان أحد اللوابنة الذين حظوا بالبقاء في فلسطين بالقرب من لوبية بفضل وجود أقارب له من طرف والدته يعيشون في الجوار· يقضي أبو سامح معظم وقته الآن في زيارة أطلال لوبية· وفي كل زيارة يقوم بتنظيف المقبرة ويرمم قبرا هنا وقبرا هناك· ويستطيع أبو سامح أن يميّز قبور الرجال عن النساء والأطفال من حجم القبر وكيفية وضع الحجارة· شخصان فقط يمكن التعرف على قبريهما بالاسم هما حاج دواس ومحمد المفضي·

وحين مشينا بين بيوت القرية المدمرة أصرّ أبو سامح أن يذكر لي أسماء قطع الأرض وأصحابها: "تلة قنديل، الرويسة، الشبابة، جور الخيل، بركة عسايسة، وادي قدران، أرض العقبة· هذه السنابل ما زالت كما تركناها· هناك أرض الصدر التابعة للشهابية· وهنا منزول العجاينة وهنا كان المسجد·"

" هناك على منحدر التلة كانت جبلة العويني حيث كنا نتلقط ثمر الصبار· هذا كان كرم مسعود حيث كان محسن جودي يملك بستان زيتون· أصبح الان ملعبا لأطفال مستوطنة جفعات افني· هنا الكهف الذي كنا نختبئ فيه عندما كانت الطائرات تقصفنا في العام ١٩٤٨، وهذا هو الطريق المؤدي إلى قرية حطين المجاورة·"

كان أبو سامح مريضًا جدّاً حين عاد من الحج في العام ١٩٩٨· وقبل أن يذهب إلى الحج طلب من ابن عمه أن يأخذه إلى لوبية لأنّه خاف أن يموت هناك دون أن يرى القرية ثانية· وحين عاد من الحج سالماً كان أول مكان يتوجه إليه هو لوبية، قبل بيته في دير حنا· لوبية بالنسبة لأبو سامح ليست مجرد أنقاض بل هي مكانٌ حيٌّ مازال، حتى يومنا هذا· أخبرني·ابن عمه أنهم حين وصلوا مشارف لوبية انبعثت الحيوية واللهفة في أبو سامح· وحين وصلوا همس: "يا حبيبتي يا لوبية"·

معالم لوبية في الذاكرة:

لكلّ قطعة ارض في القرية معنى خاص وأهمية تاريخية بالنسبة للوابنة· ولو سعى المرء إلى شرح أصل ومعنى كل قطعة أرض ودلالاتها التاريخية في ذهن المسنين من القرية لاجتاح الأمر كتابا كاملا· كهف "مغارة العريس" على سبيل المثال هو المكان الذي كان يستحم فيه العريس يوم عرسه· وثمة مكان آخر يدعى "مغارة الشهداء" دفن فيها الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن القرية·

يؤدي التأريخ الشفوي دورا هاماً في استرجاع المعلومات عن الأرض، خاصة وأن الأهالي خرجوا في العام ١٩٤٨ من دون سندات ملكية الأرض أو وصولات الضريبة

---

[50] أحمد خليل جودي (أبوسامح) ولد في العام ١٩٣٢· أجريت المقابلة معه بتاريخ ٩ أيار ١٩٩٩، في دير حنا·

ووثائق أخرى متعلقة بالأرض· وقد استخدم هذا المنهج كذلك مستكشفو الأرض المقدسة في القرن التاسع عشر وفيما بعد علماء الآثار والمساحون الصهاينة، الذين سجلوا أسماء الأماكن كما كانوا يسمعوها من السكان العرب الأصليين بغية إيجاد صيغة عبرية لها· وقد جمعت بهذه الوسيلة أسماء معظم أراضي لوبية·

وخلال المقابلات التي أجريتها ذكر اللوبيون بالاسم مائة وستة وعشرين موقعاً وست كهوف وتسع مقامات كلها في منطقة لوبية (أنظر الملحق الثالث من اجل قائمة كاملة بهذه الأسماء)· بعض هذه الأسماء تعود إلى العهد الروماني· يقول أبو ماجد إنّه كان في طفولته يسمع قصصاً عن هذه الأماكن من جدته، وقد حفظ قصص الجيل القديم· وتتشابه هذه الروايات التي يحفظها أبو ماجد مع روايات لوبيين آخرين·

"بسوم" هو اسم مقام لولي صالح يدعى بسوم· كانت في هذا الموقع بحيرة صغيرة· وهناك صخرة شمالي البلدة يطلق عليها اللوبيون "صخرة النصراني"، ويعتقدون أن المسيح كان يوزع هناك الخبز لأتباعه· "دامية" هو اسم بركة صغيرة تتجمع فيها مياه عين يدعى رأس النبي، وترد الماشية إليها للشرب· يذكر بورخارت Burkhardt البركة باسم "عين ذامي"· وتقع تل الخيمة مقابل الخان الذي كانت تستريح فيه القوافل على الطريق بين استانبول والقاهرة· وقد أطلق هذا الاسم على التل لأن أحد قواد صلاح الدين شيد معسكرا هناك إبان الحرب مع الصليبيين·

أما الموقع الذي جرت عليه معركة حطين فيدعى "الكساير"، ويقع على الناحية الشرقية من القرية فيمتد إلى تل المعون حيث يوجد اليوم مستشفى إسرائيلي· أما الموقع الذي يطلق عليه اسم نبي شوامين فهو على اسم احد أبناء يعقوب في العهد القديم· ويعرف أقدم بستان زيتون في القرية بـــ"كرم عيسى"· وهناك بركة تدعى بركة العجاينة تقع على قطعة صغيرة من الأرض مساحتها دونما واحدا· هذه كانت مجرد بضعة أمثلة على الأسماء المائة والثلاثة والأربعين للمواقع والكهوف والمقامات المذكورة أعلاه·

محو المشهد:

لقد تم تدمير لوبية بشكل شبه تام بعد الحرب عام ١٩٤٨ مثلما دمرت مئات القرى العربية الأخرى داخل المناطق من فلسطين التاريخية التي أصبحت إسرائيل· وكانت عمليات التدمير هذه جزءً من سياسة تهدف إلى منع اللاجئين من العودة بعد انتهاء الحرب·[٥١]

---

[51] في حزيران ١٩٤٨ وضع جوزيف وايتز، وهو مدير دائرة الأراضي (قسم التطوير) في الصندوق القومي اليهودي ورئيس لجنتي ترانسفير أقيمتا بعد عام ١٩٤٨، مخططا يفصّل فيه ستة وسائل لمنع اللاجئين الفلسطينيين من العودة، تشمل تدمير بيوت اللاجئين وإقامة مستوطنات يهودية عليها وسن قوانين تمنع عودة اللاجئين· أنظر: **مذكرات وايتز**، الجزء الثالث، ص

(الفصل الثامن من هذا الكتاب يعالج بتفاصيل أكثر أحداث لوبية في سنوات الحرب ١٩٤٧-١٩٤٨ ومصير أهلها).

ولقد دمّر مسجد القرية أيضًا. وبإمكان الزوار اليوم رؤية الآثار المتبقية من المسجد والمدرسة. حين زرت يوسف اليوسف في مخيم اليرموك وأريته صور المكان أخبرني بأن الحائط الأخير الذي مازال قائمًا هو جزء من بيت جدي علي ياسين الكفري. وحين أرسلت صورة فوتوغرافية للقرية مأخوذة من الجو ردّ علي برسالة عاطفية جدّاً، اختتمها بالقول: "إنّها أفضل هدية استلمها في حياتي كلها في المنفى".

أما مصطفى سعيد (أبو خالد)[٥٢] الذي التقيته في مخيم برج البراجنة بجوار بيروت، فقد زار القرية سرّاً في العام ١٩٥٠. كان يأمل بالعثور على بعض الممتلكات التي خبئوها قبل الرحيل في صيف عام ١٩٤٨. آنذاك كانت البيوت ما زالت قائمة. صالح شحاذة هو النصف لوبي الأخير الذي مازال يعيش في لوبية جزئيا كحارس لما تبقى من أشجار هناك. أمّه ولدت في قرية صفورية المجاورة. وقد أخبرني أنّ معظم البيوت ظلّت قائمة حتّى عام ١٩٦٠.

وقد شاركني بعض اليهود الإسرائيليين الذين قابلتهم بذكرياتهم عن مصير لوبية خلال الحرب عام ١٩٤٨. ناحوم عبّو شارك في احتلال لوبية كضابط ومن ثم أصبح مسئولا عن المكسرة في لوبية. "حين عملت حجّارا في لوبية بعد الحرب كان يعمل عندي خمسة وسبعون عاملاً عربياً. كنت استحصل لهم على تصاريح من السلطات للعمل في لوبية. بقيت هناك حتى العام ١٩٥٥ وكانت القرية حتى ذلك الوقت قائمة كما كانت."

وأضاف ناحوم "إنّ القول بأن الجّرافات دمرتها كذب. بعد العام ١٩٤٨ ظلّ المتسللون من الأردّن لسنوات عديدة يختبئون فيها وفي كفر كنا أملاً بالعودة إلى ذويهم دون أن يُكتشف أمرهم. كان سكان القرى المجاورة يأتون لجمع الحديد والنحاس وغيرها. كان عمالي يجمعون الأخشاب والنحاس والحديد من هناك."

أولئك الذي يطلق عليهم ناحوم عبّو "المتسللون" كانوا في حقيقة الأمر لوبيين يجتازون الحدود لمعرفة أحوال بلدهم واستخلاص ما أمكن من ممتلكاتهم الشخصية.[٥٣] وفي نهاية المطاف تم بناء مستوطنات يهودية على أراضي هؤلاء اللاجئين، بما فيها لوبية. وثمة قول شهير لموشيه ديان وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق: "إن القرى اليهودية بنيت محل

٢٩٤، تحت بند "٣٠ مايو ١٩٤٨"، مذكور في بني موريس، **ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ١٩٤٧-١٩٤٩**. ص. ١٣٦. Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem 1947-1949. Cambridge: Cambridge University Press, 187, p. 136.*

[52] أجريت المقابلة مع مصطفى السعيد (أبو خالد) بتاريخ ١٠ شباط ١٩٩٩، في مخيم برج الشمالي بلبنان.

[53] للمزيد عن هذه الحقبة وعن محاولات اللاجئين للعودة، أنظر: بني موريس، **حرب اسرائيل الحدودية**. Benny Morris, *Israel's Border Wars, 1949-1956, Arab Infiltration, Israeli Retaliation, and the Countdown on the Suez War*. Oxford: Clarendon Press, 1993.

القرى العربية. أنتم لا تعرفون حتى أسماء هذه القرى، وأنا لا ألومكم لأن كتب الجغرافيا [القديمة] لم تعد متوفرة. وليست الكتب وحدها لم تعد موجودة إنما القرى ذاتها. نهلال قامت محل معلول، وكيبوتس جيفع محل جبع، وكيبوتس سريد محل خنيفس، وكفر يهوشع محل تل شومان. لا يوجد مكان واحد في هذه البلاد لم يكن فيه سكان عرب في الأصل."[٥٤]

في كتاب "الدليل الرسمي لإسرائيل" استبدلت لوبية بلافي، وتذهب الرواية الإسرائيلية الرسمية بأن "لافي هي بلدة يهودية من العهد الروماني بيزنطي وقد حفظ اسمها في اسم القرية العربية لوبية. تم انشاؤها في العام ١٩٤٨، وفي العام التالي نقلت إلى موقعها الحالي على أراضي قرية لوبية المتروكة. وأبان الاضطرابات عام ١٩٣٦-١٩٣٩ وحرب الاستقلال استخدمت القرية نقطة للعصابات العربية."[٥٥]

تحكم كلمة "متروكة" الخطاب الإسرائيلي الرسمي حول اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه، وتوحي بأن الفلسطينيين رحلوا برغبتهم الخالصة. إلاّ أن الحقيقة بالطبع خلاف ذلك فاللاجئين الفلسطينيين، مثلهم مثل جميع اللاجئين في العالم رحلوا إما لوجود خطر على حياتهم أو تحت الهجوم العسكري.

وقد أقيمت لجان لتغيير أسماء الوديان والجبال والقرى ومعالم المشهد الباقية واستخدمت في الأغلب أسماء توراتية لأجل مسح الطابع العربى عن الجغرافية.[٥٦] وقد أعلن عن الاسم الجديد للوبية في ٨ شباط ١٩٤٩ ي. أ. أريخا، سكرتير اللجنة الخاصة التي أقامتها الحكومة الإسرائيلية بغرض استبدال الأسماء العربية بأسماء عبرية. كان أريخا يخطب أمام "الطليعيين" المتدينين في المركز الزراعي لهبوعيل هميزراحي:

"يشرفني أن أخبركم بأن لجنة الأسماء أقرت في اجتماعها الأمس بالاسم المناسب لمستوطنتكم التي ستقام على ارض تعود للوبية في الجليل أسفل. بعد نقاش معمق قررت اللجنة اختيار اسم "لافي" وهو اسم لموقع تاريخي من فترة الهيكل الثاني... ومن الجدير التنويه بأنه فيما عدا الدلالة التاريخية فإن الاسم لافي يمثل إعادة إحياء الشعب اليهودي وإقامة إسرائيل أرضهم."[٥٧]

---

[54] موشيه ديان في خطاب ألقاه في التخنيون (المعهد الإسرائيلي للتكنولوجيا) في حيفا (كما ورد في هآرتس، ٤ نيسان ١٩٦٩)، مذكور في **كي لا ننسى**، مصدر سابق الذكر ص. xxxi؟؟؟

[55] نفس المصدر، مصدر سابق الذكر.

[56] لمزيد من التفاصيل أنظر: بنفنستي، مصدر سابق الذكر.

[57] الأرشيف الصهيوني المركزي (نسخة محفوظة لدى المؤلف). لوصف مختصر للمستوطنة الجديدة انظر كتاب القرى اليهودية في فلسطين *Jewish Villages in Israel* إصدار الصندوق القومي اليهودي، ١٩٤٩. يرد في الكتاب أن "جميع المستوطنين قدموا من انجلترا"، نفس المصدر، ص. ١٠٨.

وقد حول ما تبقى من موقع القرية لاحقا إلى حرش جنوب أفريقيا، وفي العام ١٩٩٢ بنيت مستوطنة يهودية ثانية باسم جفعات افني على جزء صغير من أراضي القرية. ويستعمل يهود إسرائيليون آخرون بعض أراضي القرية مراعيا لمواشيهم أو للترفيه. ما زال تسعون بالمائة من أراضي القرية غير مبني، بعد أكثر من خمسين عاما.

من الصعب التعرف على موقع القرية حتى بالنسبة لمؤرخين وانثروبولوجيين أجانب. يقول تيد سويدنبرغ حين كان يجري البحث الميداني لكتابه ذكريات الثورة: ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ والماضي الوطني الفلسطيني إنه مر بجانب غابة صنوبر، فدون ما يلي في مفكرته:

"في احد ايام آذار عام ١٩٨٥ اصطحبتني عائلة سونيا النمر للتنزّه على شاطئ بحيرة طبريا. وفي انحدارنا من الناصرة إلى طبريا رأينا رقعة من شجر الصبار نمت في قطعة صحراوية متمردة وسط أشجار الصنوبر المغروسة بنمط قروي. فقال والد سونيا وهو مهندس كهرباء في أواخر الخمسينيات من عمره، "أذكر أنه كانت هنا قرية تدعى لوبية". وفيما بعد بحثت في إحدى الخرائط فوجدت أن المستوطنة اليهودية مقابل الحرش هي كيبوتس أقيم على أراضي القرية في العام ١٩٤٩ واسمه لافي – وهو الصيغة العبرية المفترضة لاسم لوبية. أما آثار القرية المدمرة فتقع تحت حرشين تابعين للصندوق القومي اليهودي، أحدها يدعى على أسم جمهورية جنوب إفريقيا. وقد أخبرني مجاهد سابق في الجليل أن لوبية كانت نقطة تهريب أساسية، إذ كان الثوار يشترون منها بنادق وذخيرة من اجل المشاركة في الثورة."[٥٨]

أثناء زيارتي للوبية في العام ١٩٩٩ كان لوبيون يقدمون احتجاجات أمام وزارة الأديان الإسرائيلية لأن شخص ما قام بتشويه القبور المتبقية بطلاء شعارات عبرية عليها. وقد اصطحبني نايف حجو[٥٩] المقيم في دير حنا في زيارة لمشاهدة القبور وتصويرها. حجو ناشط في اللجنة القطرية للدفاع عن حقوق اللاجئين والمهجرين في إسرائيل، وكان قد جُرح على يد القوات الإسرائيلية في يوم الأرض عام ١٩٧٦.

صورة: نايف حجو ولوبيون آخرون يدلون ممثل وزارة الأديان على أثار التخريب الحاصل لمقبرة القرية (تاريخ؟؟؟)

---

[58] سويدنبرغ، مصدر سابق الذكر، ص.ص. ٦٢-٦٣.

[59] نايف حجو من مواليد ٧ حزيران ١٩٤٨. أجريت المقابلة معه بتاريخ ١١ ايلول ١٩٩٥.

صورة: قبر مدنس بشعار بالعبرية مفاده: "هنا مدفون الكلب"

محتوى الشعار المطلي على القبور المتبقية هو " هنا مدفون الكلب"، وقد نشرت صورة للقبور المدنسة في الصحف المحلية. وبعد هذه الحادثة، قام نايف بتقديم طلب إلى الوزارة بإنشاء سياج حول المقبرة لحمايتها. وقد تسنّى لي مرافقة قرابة ثلاثين لوبي إلى المقبرة مع ممثل وزارة الأديان لمشاهدة وضع القبور التي أصبح من الصعب تمييزها بعد الاعتداء عليها. ولم يتم الرد على طلب إنشاء سياج حتى وقت كتابة هذه السطور.

أبو نمر الذي أخذني في سيارته اللاند روفر في جولة في أراضي لوبية، اخبرني عن محاولة اقتلاع المقبرة ونجاحه في منع الأمر في اللحظة الأخيرة. لقد تحدث بحذر شديد في لقائنا الأول. وتحدث اللوبيون في إسرائيل بارتياب إزاء أبو نمر، لأنّه نجح في الحصول على موافقة الحكومة الإسرائيلية بالبقاء في أرض لوبية، وتساءلوا عن سبب الإذن له بالبقاء. إلا أنّ أبو نمر كان كريما جدّا معي وحكا لي الكثير من التفاصيل عما جري في لوبية على مدار الخمسين سنة الماضية. وطلب مني نسخة عن وثائق تسجيل الأرض التي حصلت عليها من الاراشيف الإسرائيلية لكي يعطيها إلى أبنائه.

يلاحظ الزائر وجود مقبرة يهودية، تدعي "بيت رعيل؟" وسط مقبرة لوبية القديمة. وبنظرة سريعة على المقبرتين يظهر المصير المعدّ لكل واحدة: الإهمال التام للمقبرة القديمة وأحجار الرخام والسياج الحديث والزهور للمقبرة اليهودية الحديثة.

"Haji Tamam" reciting religious speech to cure her daughter of sickness.

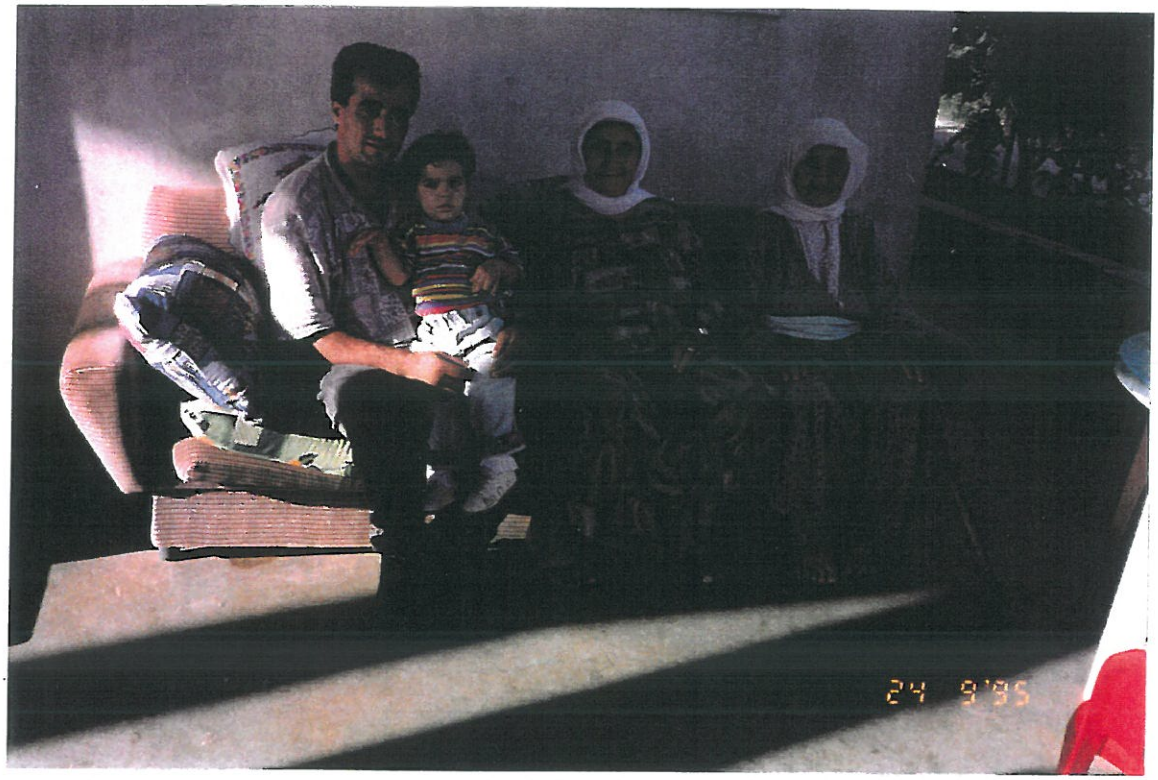

Four generations of Lubyans, a few kms. away from their land, in Deir Hanna, Israel.

Cleaning the children's graveyard near "Prophet Shwamin's tomb".

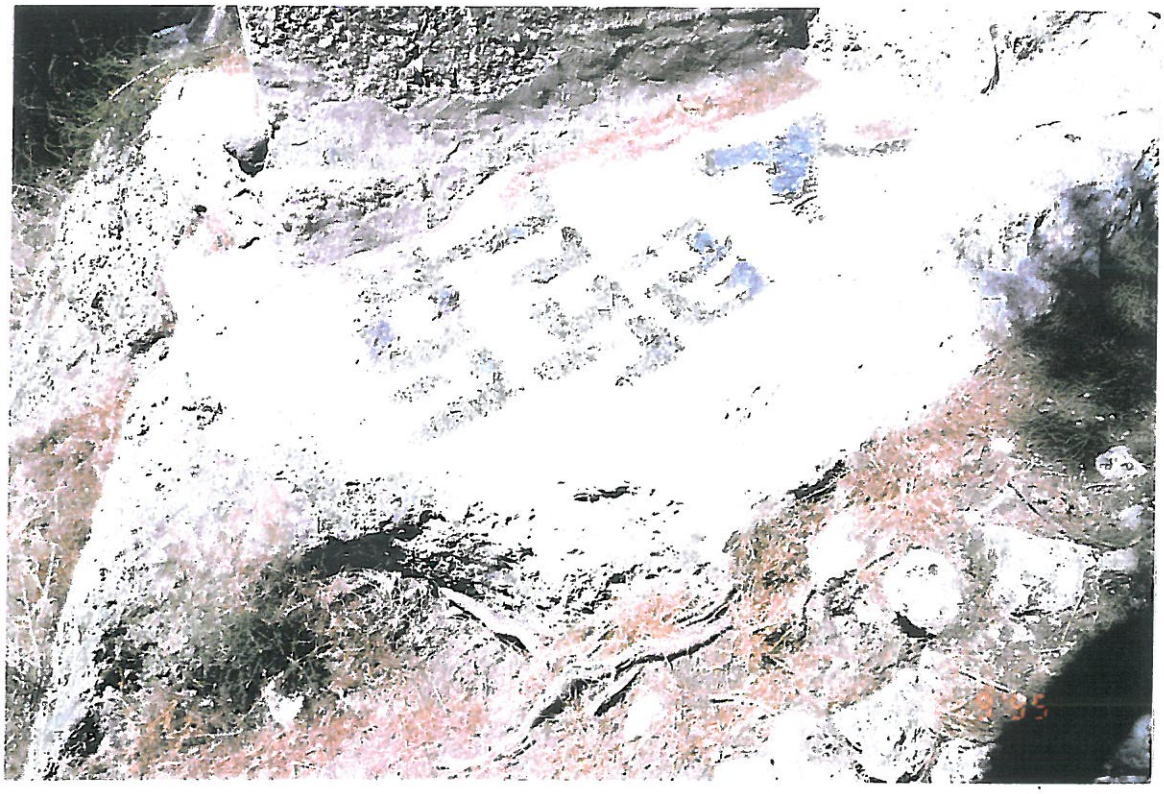

"Here is buried a dog", reads this Hebrew Graffiti, written on the tomb of Muhammad Mufaddi. Lubyans demand that Israeli authorities fence the graveyard, but in vain.

Vehicles and artillery used in the attack on Lubya in 1948.(displayed in a military museum at Jolani Junction). The forest in the background of the upper photo covers the traces of the village of Lubya.

Kilani, blind, celebrates the feast day "al-Iid" every year in Lubya: "I would come tomorrow from Akka to live here if I were allowed".

Saber, has two meanings in Arabic: the name of the plant, Cactus, and Patience.

الفصل الرابع

إيقاعات الحياة اليومية

"تتداخل القرية بفضاءاتها — بما فيها من بيوت وبساتين وساحات عامة وترب وإحساس بالانتماء الجمعي — في تركيبة الشخصية لكل فرد في القرية، إلى درجة أن الفصل بينهما يكون بمثابة محو للذات" (روزماري صايغ)

كانت لوبية تنعم قبل تدميرها بوتيرة حياة خاصة وثقافة وديعة وشبكة علاقات اجتماعية محكمة، تقوم على العادات والأعراف ذات الجذور العميقة، والتي يمكن وصفها، مع مؤسسات التعليم والنوادي الثقافية المحدثة، بأنها بمثابة "مجتمع مدني".[٦٠] أمّا أجهزة الحكم، أو ما يمكن أن نطلق عليه "المجتمع السياسي"، مثل الجيش والشرطة وبيروقراطية الدولة، فظلت رغم حضورها في القرية بمثابة مركب خارجي ومُضاف.

لقد حمل العديد من اللوبيين ذكريات متشابهة عن إيقاع الحياة اليومية في القرية وفي الحقل، وعن المناسبات الاجتماعية والأعراس والحصاد. وتتكون لدى من يتأمل هذه الذكريات صورة نابضة عن انسجام رائع كان يسود بين الإنسان والأرض، وعن حياة عفوية وديعة مازالت أثارها في شعور اللاجئين بارزة رغم أعوام طويلة وقاسية في المنفى. لقد عبر ندمي عثمان (أبو خليل)[٦١] عن ذلك بقوله أن: "حياة القرية كانت قائمة على البهجة والسرور." وأضاف: "كنت أقف في باب الدار وأسمع صوت فرح فأذهب مباشرة للمشاركة." وقالت أم حسن: "كنا نملك كل ما نحتاجه... التحق بعض الرجال بالشرطة البريطانية وغيرها من دوائر الحكومة. وكان عند الفلاحين أبقار ومواشي، وكان التجار يجوبون فلسطين وخارجها... كنا نعيش مستقلين." ووصف نايف محمد حسن الحياة بأنها "كانت بسيطة لكنها جميلة".[٦٢] هكذا ظلت لوبية وحدة اجتماعية منسجمة تعتمد أساساً على الزراعة إلى أن تدم تهجير سكانها عام ١٩٤٨، ومازالت هويتها وثقافتها الخاصة حية بين أبنائها اللاجئين حتى يومنا هذا.

---

60 "المجتمع المدني" مصطلح مركب يصف العلاقة بين الدولة والمواطن والمؤسسات المدنية، أما في استخدامي له هنا فأقصد الدلالة على البنية الاجتماعية في لوبية والعلاقات التبادلية بين الأفراد. للمزيد عن تاريخ المصطلح انظر: عزمي بشارة، **مساهمة في نقد المجتمع المدني** (رام الله: مؤسسة مواطن، ١٩٩٦).

61 ندمي عثمان (أبو خليل) من مواليد عام ١٩٢٩. أجريت المقابلة معه بتاريخ ١٨ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٩٨، في مخيم حمص للاجئين بسوريا.

62 نايف محمد حسن من مواليد عام ١٩٢٥. أجريت المقابلة معه بتاريخ ١٤ نيسان/ابريل ١٩٩٦، في عمان بالأردن.

وصف حياة القرية:

تحدث غالبية الرواة بشكل مماثل عن ذكريات الحصاد والتعليم والأعراس. وكان للبعض، مثل نايف محمود حسن، نظرة مغايرة. فقد خدم نايف (مثل أبو ماجد) في الشرطة البريطانية في سنوات الأربعينات العسيرة، وعرف القرية والحياة فيها جيدا رغم عمله خارجها لمدة خمس وعشرين عاما في الجيش الأردني. وما يميّز رواية نايف حسن هو أنّها تخلو من الرومانسية.

قال نايف: "ربينا في الحقول. كان المزارع يعمل طوال العام ولا يستطيع شراء ملابس لابنه. كيس الذرة بوزن ١٢ صاع (٥ كغم) كان سعره ستين قرش. كان أفضل للفلاح شراء الكيس بليرة بدل كل ذلك التعب. كانت الذرة اللوبية مشهورة في المنطقة كلّها. الذرة اليوم تستعمل علفا للطيور. كنا نشم رائحة الخبز عن بعيد حين كانت أمي تخبز. اليوم لم يعد للخبز رائحة. كانت حياة الفلاح في تلك الأيام أفضل من حياة أهل المدن. لكن الفقر في القرى كان من سياسة الحكومة."

"كان في لوبية حلاقان هما محمود شرعان وعوض قطامش. كانا يتقاضيان أجرة الحلاقة مرة في السنة، ويقبلون أحياناً بالذرة مقايضة. وكنا كلما طال شعرنا ذهبنا إليهما، فيحلقان لنا دونما اعتراض. كان محمود شرعان يتاجر بالخضار والفواكه إلى جانب عمله كحلاق، ولذا كان يتقاضى ديونه ذرة أيام الموسم. كان يشتري البضائع من طبرية وكان يتعرض له أحيانا رجال من العطوات بملاقاته في الطريق وإتلاف البضاعة بتهمة أنها من عند اليهود."

"كان الحلاق حكيم أسنان أيضا، يقلع الأضراس بالكَلَبَة. لم يكن في القرية طبيب أو عيادة. ابن عمي لدغته حية فتوفي. أنا لُدغت أيضا. كنت ألعب مع رفاقي فأدخلت يدي في حفرة وقعت فيها الكرة فشعرت بلدغة الحية. قلب عمي الحجر ورأى الحية. كانت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر وكان الفلاحون عائدين من الحقل. ضمدوا ذراعي وأوقفوا سيارة كانت متجهة إلى طبرية ونقلوني إلى مستشفى في الناصرة. مدير المستشفى، كان اسمه مستر بانكيت، أزال الضمادة عن الجرح وعبّر عن رضاه عن الإسعاف الذي تلقيته في القرية لأنه كان قد منع النزيف. غسل ذراعي ووضعها في الماء الساخن ثلاث مرات."

"كان عمري أقل من سبع سنوات، وأذكر أن إحدى الممرضات ألقت علي محاضرة في الدين المسيحي فلم أفهم شيئاً· في اليوم التالي جاءت أمي وأخي على حمارين وأخرجاني من هناك، وفي الطريق توقفنا لتناول الغداء في أحد المطاعم في الناصرة، لكن أمي وجدت ذبابة في الطعام واحتجّت لدى صاحب المطعم فانصرفنا دون تناول الغداء· وحين وصلنا إلى البيت رأيت مشعلاً على السور· كان جميع الأقارب، عمي صالح وعوض شاويش وكثيرون غيرهم، قد جاءوا لاستقبالي ومعهم الحلوى·"

"كان في القرية جهاز راديو واحد عند مصطفى أبو دهيس (ابن المختار) وكانت له بطاريات تعمل على مروحة مركبة على مولد كهربائي ومثبتة على عصا· كان في القرية خياط واحد، وكان شركسيا، اسمه درداح· كان يصنع البدلات العربية والإفرنجية ويكويها بمكوى حديدي يضع فيه فحماً ساخناً· كان يتقن صنعته جيداً· كان يسكن في بيت سليمان سيّد بالحارة الشرقية ويدفع له عشرين قرشا في الشهر·"

روى نايف قصة عن شخص عاطل عن العمل اسمه عوض الزيني· قال: "في يوم من الأيام مر عوض ببيت أبو دهيس، فأعطاه الأخير كيسين وبعض النقود ليشتري له فحم· أخذ عوض النقود وانصرف، وفي الطريق نحو منطقة الشهابية التقى بعوض الطلوزي (المعروف بأبو سعيد) ومعه جماله، فباعه الزيني الكيسين· وبعد يومين كان أبو دهيس يسأل عن كيسي الفحم فعرف القصة من الطلوزي·"

اعتاد نايف الذهاب إلى المسجد للصلاة منذ طفولته، وكان الإمام آنذاك الشيخ علي الشهابي· ذكر أبو ماجد في مذكراته أن مسعود الماضي هو الذي بنى مسجد لوبية في العام ١٨٢٢، واختار موقعه بين منزلي الأخوين شنشير وماضي من عائلة الشناشرة، وشيّده على أعمدة بازلتية خاصة على نمط معمار الجامع الأبيض في الناصرة والجامع الأعلى في طبرية، لكنه ظل دون مئذنة· وكان يتسع لثلاثمائة إلى أربعمائة مصلٍّ·

وذكر أبو سامح عن أصل عائلة الماضي أنّها من قبيلة الواحدي من عرب النقب· قال: "كان مسعود إقطاعيا كبيرا من أتباع العثمانيين في قرية إجزم قضاء حيفا، وكانت لعائلته محاكمها وقوانينها الخاصة· أعدمه إبراهيم باشا حين وصل من مصر في العام ١٨٣٤· تزوج الشيخ إبراهيم الجودي من زينة (ام خليل) ابنة مسعود، فبنا والدها الجامع على شرف المناسبة·"

في الأربعينيات من القرن العشرين، التحق بعض الشبان من القرية بالجيش البريطاني المتواجد في فلسطين لكي يوفوا دخلهم من الأرض· كان يوسف عيسى مثلا يخدم في الجيش ستة شهور في كل عام بين ١٩٤١ و ١٩٤٦· روى: "كنت أجمع ضرائب المواشي من الفلاحين في منطقة طبرية كلها· طلبوني للخدمة في العام ١٩٤٧ فلم اذهب· كنا نتقاضى معاشاً قدره ثلاثين جنيها فلسطينيا· كنت أعمل ستة شهور في الجيش وأزرع الذرة باقي السنة· كان سعر كيلو الذرة عشرين قرشا في تلك الأيام·"

لقد أتاحت الخدمة في الجيش لنايف الحسن زيارة أماكن عديدة ومرافقة مشاهير زاروا المنطقة· قال: "حين كنت في الجيش [الأردني] عملت في فيلم لورنس العرب لمدة ثلاثة شهور· كان ذلك عام ١٩٦٠/١٩٦١· كانت وظيفتي قيادة رافعة· انثوني كوين Anthony Quinn لعب دور الشيخ عودة أبو تايه وبيتر أوتول Peter O'Toole لعب دور لورنس· صور الفيلم بمعظمه في منطقة تبوك شرقي معان، وجزء منه صور في وادي رم في الأردن· صديق لي من عرب التعامرة وجد جرة مزخرفة ذات فتحة ضيقة وباعها لشخص من بيت لحم بخمس وعشرين دينار، فباعها هذا بخمسة وسبعين ألف·"

روي لي أبو ماجد عن شخص من عائلة الكيلاني قال قصيدة ساخرة في لوبيين يأكلون الصبر· وكانت للقصيدة نغمة سلبية أزعجت العديد من العجاينة· إلاّ أنّ أبو ماجد أصرّ على إلقائها:

دباس وابنه وابن أخوه
نزلوا عَ الصبر هفّوه
قاموا العجاينة شافوه
عملوا طوشة عمومية

محمود حسين هالزعيم
قسّم الصبر تقسيم
وكل نفر عطوه مية

خليل العموري يا غاوي
إن عصّمت كيف بدّك تساوي

دربك عالنمساوي
اضرب إبرة قوية

طلّوزي بحكي الحق
وإللي بجي دكّوه دكّ
سعيد وعارف سنجي تّك
عالصبر حربجية

ما زال العديد من اللوبيين يذكرون هذه القصيدة· دباس، محمود حسين، خليل العموري، الطلوزي، وأبو ماجد كانوا جميعاً أبناء حارة واحدة· وما زالت نباتات الصبار تحمل الثمار حتّى يومنا هذا ويأتي لوبيون من دير حنا كل عام لالتقاطها· كان القرويون يستخدمون نباتات الصبار أسواراً لحظائر مواشيهم، وما زالت هذه النباتات قائمة كشهادة مادية على العديد من القرى المدمّرة· في العديد من هذه المواقع يمكن التنقيب قليلاً تحت التراب أو الأعشاب والعثور على حجارة وقبور وآثار أخرى تدل على القرية·

ذكريات الحصاد:

كان جميع سكان القرية بمختلف أعمارهم، رجالا ونساء، أطفالاً وشيوخاً، يساهمون في العمل· وكانت حقول لوبية الخصبة توفر ما يزيد عن احتياجات السكان، فتصدر المحاصيل للقرى والبلدات المجاورة· في العام ١٩٤٤-١٩٤٥، حسب آخر معلومات إحصائية رسمية، كان في لوبية ٣١،٠٢٦ دونما مزروعة بالحبوب؛ ١،٦٥٥ دونما من البساتين المروية[٦٣]؛ و ١،٥٢٠ دونما من الأراضي المزروعة بالأشجار المثمرة·[٦٤] وقد طلب الأهالي من دائرة الزراعة في طبرية إذنا بزراعة أنواع أخرى من الأشجار، كالزيتون والتفاح·
كانت أشجار الزيتون في لوبية، بحسب تقرير الهاغاناة الاستخباراتي عن القرية، تنتج ٦٠٠ جرة زيت سنويا، وعشرة قناطير (القنطار هو ٣٣٠ كغم) من التين، وعشرة قناطير من العنب، وخمسة عشر قنطارا من الثمار الأخرى· ويذكر المصدر كذلك وجود ألف

[63] **لكي لا تنسى**، مصدر سابق الذكر، [redacted] انظر كذلك *Village Statistics* 1945، مصدر سابق الذكر، ص ١٢٢.
[64] **الموسوعة الفلسطينية**، مصدر سابق الذكر، ص ٥٥.

وثمانمائة رأس غنم، و أربعمائة بقرة، ومائة حصان، وثمانون حماراً، وأربعون جملا، وثلاثة آلاف دجاجة.[٦٥]

قالت أم حسن: "كانت أراضي لوبية الأفضل في المنطقة، وكان أهل لوبية أغنياء." وقال يوسف عيسى: "كان هناك أناس ينعمون بحياة جيدة ودخلهم مقبول، وآخرون في الوسط، وكان هناك فقراء ليس بحوزتهم أرض أو عمل ثابت فكانوا يعملون في أراضي الآخرين ويتقاضون أربعة أكيال (الكيل هو ستين كغم تقريبا) ونساؤهم كيلاً ونصف. يعني أنّ الزوجين كانا يحصّلان معاً على خمسة أكيال ونصف، أو ما يقارب ٧٥ كغم من الطحين. كان هذا يلبي احتياجات العائلة طيلة العام."

لم يكن في القرية سوى عائلتين من دون أرض، جاء أفرادها بعد توزيع الأراضي على الأهالي. يذكر تقرير الهاغاناة وجود قرابة خمسين عائلة من دون أرض في القرية بين الأعوام ١٩٤٣-١٩٤٤، تعتمد في عيشها إما على العمل المأجور أو على تربية المواشي أو التجارة. ويرجع الفارق بين هذه المعطيات، جزئيا، إلى الاختلاف في مفهوم العائلة المقصود. ويذكر تقرير الهاغاناة كذلك أن كل عائلة كانت تملك بين مائة ومائة وخمسين دونماً.[٦٦]

قال يوسف عيسى: " كان العديد من الحمالين يأتون مع جمالهم من قرى جولس وكفر ياسيف والبعنة لنقل الحزم، وكانوا يتقاضون كيلا واحدا مقابل كل اثني عشر كيل ينقلوها. وفي أواخر الثلاثينات اشترت اثنتا عشرة عائلة من حمولتي العصافرة والسمااللوت تراكتورا لحرث أراضيهم، وكانوا يؤجرونه بالتسعيرة المتعارف عليها، أي كيلا واحدا عن كل اثني عشر كيل."

تعكس ذكريات الحصاد طبيعة التكاتف الاجتماعي في تلك الفترة. يقول نايف حسن: "كان جميع أفراد العائلة يذهبون إلى الحقل، ولم يكن الهواء ملوثاً. كان أصحاب الأرض يستأجرون أحياناً مرابعين ليعملوا في الأرض على قسم الربع من المحصول، وكان الفلاحون يبنون عرايش في الصيف، يسهرون تحتها لوقت متأخر وينامون، في جو بديع." حتى أولئك الذين لم يملكوا أرضاً، أو وسائل إنتاج، كان بمقدورهم كسب الرزق والعيش باحترام. كان الناس يتآزرون فيما بينهم. الراعي والحلاق والتاجر والمعلم والإمام وكل أبناء القرية كانت ترتبطهم علاقات وطيدة، إما بسبب القرابة أو بسبب المصالح المشتركة. وكان أبناء القرية جميعاً من رجال ونساء وأطفال يتعاونون في الحصاد. الرجال يحصدون السنابل بالمنجل والنساء تجمعها في رزم وتنقلها إلى البيدر.

---

[65] لوبية (قضاء طبرية) ١٩٤٣-١٩٤٤، مصدر سابق الذكر <بالعبرية>.
[66] نفس المصدر.

ما زالت سعيدية يونس[٦٧] زوجة يوسف عيسى تذكر أيام الحصاد في لوبية. في العام ١٩٩٥ زارت القرية لأول مرة منذ عام ١٩٤٨، وكان ذلك اليوم من أكثر الأيام سعادة وأكثرها حزنا في حياتها. بخلاف نساء أخريات، لم تخف سعدية من إجراء مقابلة معها وتحدثت عن الماضي دون تردد. كان حديثها، مثل باقي نساء القرية، حميما وأغنى بالتفاصيل من أحاديث الرجال.

"كنا نجمع الحبوب في مكان خاص لنرزمها في حلل، ثم يأتي أحد الرجال مع جمل وينقلها إلى البيدر لدرسها. في نيسان، كنا نلتقط الفاصوليا والعدس والبيقية ونرسلها للدراسة بعد أن تجف. في أيار كنّا نقوم بحصاد القمح والشعير."

كانت النساء تصنعن المواقد من الطين (الصلصال) المجبول بالماء والمجفف تحت أشعة الشمس، وهذه المواقد كانت وسيلة الطهي. وهناك نوع من التربة يدعى حزرية كان يستخدم لصناعة الجرار والأواني والمواقد. وفي هذا الصدد قالت سعدية: "حين كنت طفلة لم يكن عندنا بريموس، كنا نطبخ ونتدفأ على المواقد ونجمع لها الحطب من عيلبون والمغار. لم يدخل البريموس إلى لوبية إلا بعد ذلك بمدة، قبل تهجيرنا في العام ١٩٤٨." وفي أثناء الحديث مع سعيدية قاطعها يوسف ليضيف عبارة معروفة كانت تستعمل لإعلان حلول موسم الحصاد: "في خمسطاعش أيار إحمل منجلك وغار." ويصادف أن الخامس عشر من أيار أصبح يوم ذكرى النكبة الفلسطينية.

كان يستخدم الجحش أو البقرة أو الحصان لتحريك لوح الدراسة، وذلك يتعلق بالوضع المادي للعائلة. كان الأولاد حسبما روى يوسف يقومون أساساً بسوق الحيوانات. قال: "كنا بعد أن نفصل بين القش والحب بالمذراة نضعها في أكياس منفصلة. كنا نحن نجني بين خمسة عشر وعشرين كيلا، نخزن منها مئونة السنة في كوابر من الطين ونبيع الباقي. أما القش فنبيعه علفا للحيوانات."

وتابع يوسف ذكرياته عن أيام الحصاد: "أقوم أولا بالصلاة ثم أحضر الحمير والأحصنة ونذهب إلى الحقل. كنا نمشي حوالي الساعة وأكثر حتى نصل إلى أرضنا، ونكون في العادة خمسة أو ستة من أفراد العائلة. العائلات التي لم يكن لديها أولاد كانت تستأجر

---

[67] ولدت سعدية يونس في العام ١٩٣٠. أجريت المقابلة معها بتاريخ ١٠ تشرين أول ١٩٩٨، في كوبنهاغن بالدنمرك. لديها أحد عشر ولدا يعيشون اليوم في لبنان وسوريا والأردن وإسرائيل وكوبنهاغن. سعدية يونس هي والدة المؤلف.

مزارع بخمسة قروش· كنا نبدأ بالفاصوليا والعدس والكرسنة، التي كانت تنضج قبل باقي المحاصيل·"

"بعد الحصاد نجمع الحلل، ويستغرق هذا عادة أربعة أيام· ومن ثم نقوم بنقل الحلل بواسطة الجمال إلى البيدر في لوبية· العائلات التي ليس فيها عدد كاف من الرجال كانت تستأجر الصبيان في عملية الدراسة· وكان هؤلاء يعملون من الحادية عشر إلى الرابعة بعد الظهر ويتقاضون كيلا واحدا عن المحصول كله· كان جني الفاصوليا والعدس يستغرق عشرين يوما، يأتي بعدها حصاد القمح ويستغرق شهر أيار كله ويستمر حتّى آب·"

"كنا نقول: إن فاتك آب وما ذريت كإنّك بالهوا انغرّيت! وفي نهاية آب كنا نبدأ بجمع الذرة، ومن ثم البطيخ والبامية والبندورة والكوسا· وتعلمنا كذلك زرع المقثاة بعلاً· وفي نهاية أيلول يأتي موسم شد الزيتون· لم يكن منتوجنا من الزيتون كافيا في العادة فكنا نشتري من عيلبون والرامة· كان في لوبية معصرتان للزيتون، يملك واحدة حسن دهيس (المختار) والأخرى يملكها قوّاطين، وكان حجر المعصرة يحركه الحصان· كان صاحب المعصرة يتقاضى جرة زيت مقابل كل اثنتي عشرة جرة· كان الشركسي، اسمه الحقيقي سعيد الشامي [كان أخوه ضابط في حرس الحدود البريطاني]، يملك مطحنة للحبوب· أصله من كفر كما· كان يتقاضى قرشين أو ثلاثة أو ربعية على كل كيل (الربعية هو كيل لوزن الحبوب أو الطحين)"· ما زال حجر المطحنة في مكانه لكن مبنى المطحنة دُمّر بعد عام ١٩٤٨·

وفي الشتاء كان يتم الاستعداد للموسم القادم فتبذر الحبوب ويغرس الشتل· ذكرت سعدية يونس عن ضرورة الاستعداد للعمل في كانون أول: "إلّي ما بشدّ بالجراد عند الصلايب بيجرد"·

التعليم:

كانت المؤسسات التعليمية في لوبية متواضعة، لكن إنشاء المدرسة ومحاولات تأسيس نادي ثقافي ومدرسة زراعية، تدل على وجود وعي بضرورة مواكبة الاحتياجات الحديثة للمجتمع القروي، وخاصة لدى الجيل الشاب· أحد مخاتير القرية، مثلا، اقترح إنشاء

مدرسة للفتيات· وفي هذا الصدد قال يحيى الشهابي: "من الأجدى بالفتاة أن تتعلم فك الحرف بدل أن تلهى برمي الحصى على جارها الشاب·"

افتتحت المدرسة الأولى في لوبية في العام ١٨٩٦[٦٨]، وقد موّل الأهالي بناءها، وظلت تعمل طيلة فترة الانتداب البريطاني· كانت مدة البرنامج الدراسي فيها عامين فقط وكان ذلك يعادل المرحلة الابتدائية· وقد شمل منهاج التعليم في زمن الانتداب البريطاني المواضيع التالية: الدين، الجغرافيا، الحساب، العربية، الانكليزية (يبدأ تعليمها في الصف الرابع)، الرسم، والرياضة· وكان عدد الطلاب في كل صف عشرين طالباً.[٦٩]

وكان في لوبية كذلك كُتّاب يعلّم فيه الشيخ علي الشهابي الدين لأطفال القرية وأغلبهم من المسلمين، ويقوم بإعدادهم لدخول المدرسة الابتدائية· كان في الكُتّاب ستون طالبا، ولم يكن الكتّاب خاضعاً للسلطات الرسمية العثمانية أو البريطانية، ومع ذلك التحق به جميع صبيان القرية·

كان عدد قليل من التلاميذ يحظون بإتمام دراستهم في طبرية بعد الصف، وذلك لأسباب مادية· ذكر نايف حسن عن أبو دهيس أنه كان يقول لولده: "أبيع أمك وأخواتك لأجل أن تتعلم"· وقد باع البعض قطعاً من الأرض لأجل تعليم أولادهم· حوران عبد الرحمن هو مثال جيد على ذلك، فقد باع في الأربعينيات قطعة من الأرض وأبقارا لكي يدفع تكاليف الدراسة لولده في الجامعة الامريكية في بيروت· لكن النقود لم تكف فعاد الابن عبد الرحمن إلى القرية· وقد التحق شابان آخران بجامعات خارج البلاد هما محمد خليل عبد القادر وفوزي أبو دهيس·

بعض اللوبيين، كطاهر محمود حسين (أبو طلعت) ترك التعليم منذ صغره· يمتاز أبو طلعت بحس الفكاهة والسخرية من الماضي، ولم يبخل في تقديم التفاصيل العديدة عن الحياة في القرية· ذكر أنه تعلم حتى الصف الثاني فقط وترك المدرسة لأن "الناس لم تكن تكترث بالتعليم في ذلك الوقت·"

---

[68] **الكتاب السنوي**، اصدار وزارة التربية، ١٣٢١، ص ٤٤٣ (بالانكليزية): Ministry of Education, Yearbook, 1321, p. 443· أنظر أيضا: مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين** (كفر قرع: دار الهدى) ١٩٩١، ص.ص· ٤٢٤-٤٢٦·

[69] يذكر تقرير الهغاناة أم عدد الطلاب في المدارس الحكومية كان ١٣٥ في العام ١٩٤٢-١٩٤٣· أنظر لوبية، **(قضاء طبرية) ١٩٣٤-١٩٤٤**، مصدر سابق الذكر <بالعبرية>·

قال: "في يوم من الأيام رجعت من المدرسة وأنا أبكي، فسألتني أمي وكانت تحبني كثيراً، عما جرى. قلت لها ضربني المعلم. فحملت عصا وهجمت على المدرسة لتهدد المعلم وتتوعده. فرحت جدّا. كان معلمو المدرسة احمد عفيفي وسامي خوري والشيخ مصطفى عنبتاوي. كنت أقضي وقتي بالحقول أرعى البقر والغنم، أشرب الحليب الطازج، أركب الخيل، وأزور الجيران."

كانت المدارس بمثابة شبكة تربط بين القرى والبلدات المجاورة بما فيها الناصرة، التي كان يأتي منها معظم المعلمين. قال نايف حسن: "كنا نتنافس مع مدارس الناصرة في الألعاب الرياضية المختلفة، مثل كرة القدم والقفز". دخل نايف حسن المدرسة عام ١٩٣٢ وكان عمره سبع سنوات، وظل فيها حتى الصف الرابع. قال: "مرة جلب لنا مدير المدرسة قمصان رياضة ولم نكتشف أن عليها رسم نجمة داود إلا بعد أن ضحك علينا الناس في الناصرة. لا أعرف لماذا لم يعترض المعلمون الآخرون، محمد عبد القادر وسفريني، على ذلك." وحكا نايف قصة أخرى مضحكة تعكس الحياة المدرسية في القرية قبل نصف قرن: "حين توفي الشيخ مصطفى جاء محله شخص اسمه عبد الله. دخل الصف وسألنا عن برنامج اليوم فقلنا له: إملاء. قال: ها! وعندما فتح فمه رأيت أنه ليس عنده أسنان فاندفعت ضحكاً. اقترب مني دعس على قدمي بحذائه وضربني وقال أصبح عمري ٤٥ سنة ولم يضحك علي أحد!"

مازال يونس الماني[٧٠] ويوسف عيسى يتذكران أمر قائد الثورة عز الدين القسام بأن يرتدي الجميع الكوفية العربية ويمتنعون عن ارتداء الطربوش التركي التقليدي، وقد احترم هذا الأمر في فلسطين قاطبة. قالا: "كان المعلمان محمد وسفريني يرتديان الطربوش لكنهما استبدلاه لاحقاً بالحطة والعقال".

"وكان عندنا معلم من صفد اسمه نجيب الخضرا كان يجبرنا على الركض من الصف إلى وادي الشومر حيث وقعت معركة صلاح الدين ضد الصليبيين. لم يكن أحد في القرية يستمع إلى نصائح المعلمين."

---

[70] يوسف الماني من مواليد عام ١٩٢٨. أجريت المقابلة معه ومع محمد عيسى عام ١٩٩٥، بالدنمرك.

قال إبراهيم شهابي[٧١]: "كنا نتشاجر مع أطفال آخرين خصوصًا أولاد العطوات. نجمع الحصا ونقذفها عليهم بالنقيفة، ونتغلب عليهم بالعادة. وفي يوم من الأيام بعد عراك بيننا، جاء مختارهم وكلّم والدي، فحضر والدي مباشرة إلى المدرسة وطلب من نصري أن يأخذ جميع الطلاب إلى الداخل ويبقي على أولاد العطوات والشهابية فقط. أمرنا بالركوع على الأرض المرصوفة وأخذ يضربنا بقسوة. كان ينالني قسط من الضرب زيادة عن الآخرين. وبعد انتهائه من الضرب سلّمني للمعلمين ليكملوا الواجب. ظلوا يضربوني من الثامنة صباحاً حتّى الثالثة والنصف بعد الظهر. بعد ذلك أصبحنا أصدقاء. ما زلت أحن حتى اليوم للتصرف بشقاوة الأطفال، كما كنت في لوبية."

كان مستر باومان مراقب المدرسة في بداية الأربعينات، وكان مدراء المدرسة سامي خوري ونصري نخلة وكلاهما من الناصرة. وكان من معلمي المدرسة، حسب إفادات اللوبيون، عبد الله أرطبيل ومحمد عبد القادر من طبرية، وعبد الرحمن حجو ومحمد جوهر من لوبية، ونجيب الخضرا من صفد، ومحمد السفريني من سفرين في الضفة الغربية، ومصطفى العنبتاوي من عنبتا، وكان الأخير معلم مادة الدين.

Comment [MF22]: تأكد من الأسم

هناك اختلاف بين أسماء المعلمين التي ذكرها اللوبيين وبين المعلومات المذكورة في وثائق الهاغاناة المخابراتية. تذكر هذه الوثائق: نصري نخلة من الناصرة وكان أيضا مديراً، ومحمد علي فاهوم من الناصرة، وحسن الحاج من صفد، ومحمد عبد القادر من الرينة. وبالإمكان تفسير هذا الاختلاف بكون اللوبيون يتذكرون المعلمين الأوائل وليس من تلاهم.

أبو عصام صاحب المذكرات عن لوبية كان معلما في لوبية ومديرا في عيلوط والناصرة. وقد ذكر ابنه هشام معلومات أكثر عن عمل والده في لوبية وكذلك بعد النكبة. قال: "لقد درّس والدي مرة واحدة في لوبية. كان قد حصل على شهادته في العام ١٩٣٣ من مدرسة كدوري[٧٢] الشهيرة ومن ثم درّس في المنسي وعرابة وسمخ وعيلوط. وبعد أن استقال

---

[71] إبراهيم الشهابي من مواليد عام ١٩٣٣. أجريت المقابلة معه ومع يوسف اليوسف بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٩٨. لقد سمعت عن إبراهيم في فلسطين حين بدأت بحثي؛ إذ أخبرني صالح جواد من جامعة بير زيت عن مخطوطة وصلته من شخص اسمه إبراهيم شهابي يقيم في دمشق. وحين التقيت إبراهيم في سوريا كان كريما معي وقدم ليّ جميع وثائقه المتعلقة بلوبية بما فيها كراس عن لوبية نشره عام ١٩٥٤.

[72] أسست مدرسة كدوري في مدينة طولكرم بهدف استقبال الطلاب العرب واليهود دون تمييز، إلا أنّ القيادة الصهيونية رفضت أن يتعلم اليهود سوى باللغة العبرية فتم افتتاح مدرسة أخرى بنفس الاسم لغة التعليم فيها العبرية. وكان هذا منسجما مع سياسة الانفصال الصهيونية التي عبر عنها دافيد بن غوريون (أحد أبرز قادة اليشوف في فلسطين وأول رئيس حكومة

مدير مدرسة عيلوط بسبب الاعتداء عليه بالضرب وتعرضه للسرقة، تسلم والدي مهامه. وقد حازت المدرسة على المرتبة الأولى في الجليل."

كان في لوبية ناد ثقافي أيضاً. في ٢٩ تموز من عام ١٩٤١ أرسلت مجموعة من القرية معروضا إلى مساعد حاكم لواء الشمال في طبرية وحاكم لواء الجليل في الناصرة تطلب فيه الموافقة على إنشاء ناد ثقافي في القرية.[٧٣] ومن ثم أرسلت عدة رسائل أخرى لتوضيح أهداف هذا النادي. وكان من المخطط أن ينتسب النادي إلى المجلس الثقافي البريطاني في فلسطين.

كان أعضاء اللجنة: فوزي الشهابي (رئيساً)، حافظ صالح يحيى (نائب الرئيس)، محمد لافي كايد (سكرتير)، نايف يحيى شهابي (مدير المالية)، حسين علي ياسين (مراقب). وقد وقعّ على الطلب الأول فوزي محمود الشهابي ونايف الشهابي. إلاّ أن هذا الأخير طلب إعفاءه من مهامه في ٨ آب ١٩٤١.

وبعد عدة أشهر على إرسال المعروض الأول وقع ثلاثون شخصاً من أعضاء النادي على معروض آخر يحتوي على لائحة نظام النادي المكونة من عشرين بنداً. وقد روّس المعروض بالتالي:

اسم الجمعية: نادي لوبية الثقافي
العنوان: قرية لوبية – طبرية
أهداف الجمعية: تشجيع التعليم والزراعة والتجارة والتطوير.

وقد ذكر في المعروض أن الطلب مقدم بموجب البند السادس من القانون العثماني الخاص بإجراءات تأسيس الجمعيات وأنظمتها. في ٢ شباط ١٩٤٢ أرسلت قيادة الشرطة الإقليمية في طبرية رداً على مساعد حاكم اللواء: "لست متشجعا جداً من تأسيس مثل هذا النادي في لوبية، فالمؤسسين غير موثوق بهم ويميلون إلى إثارة الشعور العام". وكان ذلك

لإسرائيل) في خطابه أمام اللجنة التنفيذية للمجلس العام ليهود فلسطين (واعاد لئومي)، في أيار عام ١٩٣٦: "إذا أردنا بعثاً عبرياً مائة بالمائة يجب أن يكون استيطاننا عبرياً مائة بالمائة، ومزارعنا عبرية مائة بالمائة، وميناؤنا عبرياً مائة بالمائة". اقتباس من مذكرات بن غوريون ورد في: مصالحة، مصدر سابق الذكر، هامش ٤٠، ص. ١٧؛ المصدر العبري في: *مذكرات بن غوريون*، المجلد الثالث، تل ابيب: عام عوفيد، ١٩٧١-١٩٧٢، ص. ١٦٣.

[73] الرسائل محفوظة في وثائق حكومة الانتداب في الأرشيف الحكومي الإسرائيلي، وتعود على التوالي إلى الأعوام ١٩٤٢-١٩٤٥: R/3634, 8073/N, R/3624, N/13657, P323/524.

على أثر مشاركة لوبية في الثورة بين الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩، كما سنبين في الفصل السابع.

لم يأت الاعتراض الوحيد ضد النادي من الشرطة، فقد احتج أيضا مخاتير القرية على الفكرة لأنها تهدد بنظرهم السلطة التي كانوا يمنحهم إياها النظام الاجتماعي الأبوي السائد آنذاك. وقد تبين لنا ذلك من رسالة بعثها رئيس النادي فوزي محمود الشهابي إلى نائب حاكم طبرية يشكره فيها على دعمه بالرغم من اعتراضات بعض القرويين.

ويمكن أن نستنتج من رد حاكم لواء الجليل أن الاعتراض على إنشاء النادي جاء على خلفية سياسية، إذ كتب يقول: "يمكن للشرطة الاعتراض على أشخاص حكم عليهم جنائيا في السابق أو سحبت حقوقهم في المواطنة أو كانوا تحت العشرين، وذلك حسب الجزء الخامس من قانون الجمعيات. أرى في الفقرة الأولى من نظام النادي السماح لشبان في الثامنة عشر من عمرهم الالتحاق بالنادي، وهذا غير مسموح به. لذا أطلب من القيمين على المشروع تعديل البند ليصبح الحد الأدنى المطلوب عشرين عاما بدل ثمانية عشر". وبعد القيام بهذا التعديل تم الحصول على الموافقة الرسمية من حاكم لواء الجليل د. هيدلي بتاريخ ٢٤ كانون ثاني ١٩٤٢.

نزاعات داخلية

كانت النزاعات الداخلية فيما بين اللوبيين قليلة نسبياً، خاصة عندما تواجه القرية تحديات خارجية. معظم هذه النزاعات كانت ذات طابع مؤقت وتدور حول العلاقة مع سلطات الانتداب أو المسئولين الصهاينة، أو حول علاقات الزواج والأراضي. يتذكر المسنون الذين قابلتهم أوقات فرح في حياة القرية وكذلك أوقات عصيبة.

كان المختار هو الذي يحل في العادة مشاكل القرية الداخلية. أخبرني أبو ماجد أن رجلا قدم من الجاعونة وبات ليلته في بيت المختار. وفي الصباح حين كانا يشربان القهوة سمعا رجلاً في الخارج يصرخ ويتوعد بقتل السارق. كان قد فقد ثلاثة سكك فلاحة. خرج المختار وأعطاه ثلاث ليرات فسكت الرجل وانتهت القصة. وعندما سأل الضيف المختار إن كان يعرف السارق، قال: لا، إنما أعطيت الرجل نقودا لتفادي نشوء شجار قد يودي بحياة أحد منهم. ثم سمع الحضور المختار يقول إنه خلال عشر سنوات على توليه للمنصب لم تحدث أية عملية قتل كانتقام.

كان الفلاحون يتبعون تقاليد الصلحة لحل الخلافات بينهم. فإذا حدثت عملية قتل كان القاتل يظهر أمام حمولة الضحية ويفدي بحياته لأجل الصلحة، فتقوم عائلة الضحية عادة بالعفو عنه وطلب الفدية نقدا.

أخبرتني أم حسن قصة عن "رجلين من سخنين قتلا حسين حجو بالقرب من عيلبون. في البداية شك أقاربه بأن القاتل من عيلبون، لكن القاتل الحقيقي جاء لاحقاً إلى القرية ووقف أمام مائة رجل رافعاً منديله، وقال: اقتلوني إن أردتم فقد ارتكبت خطأً وأطلب العفو. فشرعوا بعقد الصلحة."[٧٤]

كانت تحدث أحيانا خلافات داخلية تؤدي إلى إبعاد حمولة ما أو أحد أفرادها عن القرية. حصل هذا مع الشهابية. روى أبو ماجد عن أبناء علي الشهابي الخمسة، قال: "كانوا متكتلين وكلّما تعرّض أحدهم لمشكلة ناصره أخوته، وابعدوا عن لوبية بعد أن قتل أحدهم العطعوط (لقب لرجل طويل نحيف وخمول)، فلجئوا إلى قرية تقع جنوبي لوبية وتدعى اليوم كفر كمّا وكانت لقبيلة بني صقر."

"لكن هذا الإبعاد لم يردعهم فتعرضوا مرة لشخص من حمولة العصافرة وقتلوه لمجرد كونه من لوبية. ومما زاد من تعقيد المشكلة أن الشيخ يونس (الذي خلف الشيخ أحمد الرُّحيّل) أمر شخصاً اسمه جودي بحرق مضارب الشهابية انتقاما لمقتل الرجل، فأرسل الشهابية قصيدة إلى جودي يحذرونه من تنفيذ أوامر الشيخ، تقول: 'جودي لا تهدّ البيت تتعب، يجيك شهاب يسقيك سمّ عقرب.'"

"لقد وفر بنو صقر الحماية للأخوة الخمسة واستمر إبعادهم حتى جاء قائمقام جديد اسمه عقيل الحاسي. مرّ الحاسي بجانب بيت يحيى، أحد الأخوة، فقام هذا وأوقفه ودعاه لتناول الغداء وذكّره بأن مناصرة الأخوة له ضد رغبة أهالي القرية كانت سبب النزاع الذي أدّى إلى مقتل العطعوط. وبعد سماع هذا الكلام قرر الحاسي التدخل مع عائلة القتيل من أجل عقد الصلح."

---

[74] ظل أهل لوبية يكنون مشاعر العداء لأهل سخنين. تقول أم حسن إن رجلا من سخنين طلب يد بنت اسمها خضرا من لوبية فاعترض أبوها على الزواج قائلا أنهم لا يعطون ابنتهم للعدو.

"عندما سمع أهالي الضحية بقدوم الحاسي صعدوا على أسطح المنازل وبدءوا ينثرون القش عليه علامة رفضهم لمساعيه. أراد رجال الحاسي قتل النساء اللواتي قمن بإساءة قائدهم برمي القش، إلا أن الحاسي ردع رجاله عن ذلك قائلاً: إن من يسير في هذه الطريق عليه تحمل النتائج. وفي النهاية تمت المصالحة وعاد الشهابية إلى لوبية."

وحصل شجار عائلي آخر في العام ١٩٤٤، ما زال يذكره اللوبيون، أودى بحياة مجاهد معروف هو صالح رقية. روى أبو طلعت: " لقد ضرب صالح رمزي ابن المختار، فكلفه ذلك حياته. عندما عاد إلى القرية قُتل بعيار وزن حديدي كان مسعود، وهو قريب عمي حسن، يستعمله في دكانه."

كان يوسف اليوسف شاهد العيان الوحيد على ما حدث وقد روى لي ما يلي: "قال صالح لمصطفى: إذا نجوت من هذه الضربة سترى ماذا سأفعل بالعطوات. أراد الانكليز شهادتي. قالت لي جدتي خضرا: قل لهم إنك لم تر ولم تسمع شيئا وإلاّ أحرق العطوات منزلنا وزيتوننا. لكني رفضت أن أبقى صامتاً وقدمت شهادتي بما حدث في مضافة يحيى السعيد."

كان أبو طلعت يحترم صالح لنضاله ضد البريطانيين والصهاينة وقد بذل جهده في إصلاح الأمر بين الرجلين اللذين كانا رفاقا في نفس المجموعة من المجاهدين. قال: "كان صالح رجلاً شجاعاً إلاّ أنه عنيد. طلبت منه أن يأتي معي إلى عمي حسن أبو دهيس المختار، لكنه رفض. لو قبل المصالحة لما لاقى هذا المصير المؤسف."

وقال يوسف اليوسف: "جرت المصالحة بين عائلة صالح وحسن أبو دهيس بواسطة سليمان عطية، والد زوجة صالح وشيخ حمولته، إلا أن أبناء حسن أبو دهيس لم يكونوا راضين. لقد رأيت "القلة"، أخو صالح، يرفض المصالحة لكنه وافق في نهاية الأمر وقبل مصافحة رمزي. كانت القرية كلها مع الشناشرة."

وروى أبو ماجد قصة عن جد الشهابية، شهاب. قال: "تزوج شهاب من امرأتين ورزق بولد من الأولى اسمه علي وبولد من الثانية اسمه صالح. في تلك الأيام كان زواج البدل مقبولاً. التقى علي الشهابي بأشخاص من عائلة الكيلاني وعرض عليهم أن يعطيهم ابنته ويأخذ أبنتهم، فقبل الكيلانية بالعرض معتقدين أن الرجل في الثمانين من عمره ولا بد أنه سيموت قريباً ويترك ثروته لابنتهم فتعود حينها ويتزوجها واحد منهم."

"اعترض صالح على مراد أخيه الكبير وضربه· فأشتكى علي إلى الشيخ أحمد الرحيّل، فطلب هذا قدوم صالح إلى المضافة وأمر بتحضير مشعل وأخذ علي وأخيه إلى أهل العروس لكتب الكتاب· وحين سأل الشيخ صالحا إن كان موافقا الآن، قال نعم سيدي· تم ذلك حوالي العام ١٨١٢-١٨١٥، ووزعت الحلوى في العرس وأنجب الشيخ الثمانيني خمسة أولاد، بينما أنجبت أبنته ابنتين جُدب، هما حسون ونوف·"

كان اللوبيون يحلون مشاكلهم فيما بينهم دون تدخل من قبل السلطات العثمانية أو البريطانية ما عدا في حالات القتل، كما تبين في قصة اعتقال وإعدام حسن طاه· وقد أعرب بعض اللوبيين الذين قابلتهم عن شعورهم بوجود معايير مزدوجة لدى البريطانيين، وساقوا على ذلك مثال مصطفى أبو دهيس ابن المختار الذي استطاع إخراج أخيه رمزي من السجن حيث كان ينتظر تنفيذ عقوبة الإعدام بحقه بعد قتله لصالح رقية· ويعزي اللوبيون الأمر لعلاقات مصطفى القوية بالبريطانيين·

وبخلاف الصورة التي رسمها إبراهيم الشهابي عن حياة انسجام ووئام بين العائلات الكبيرة في القرية، قدم آخرون صورة عن حياة كانت تطغى عليها نزاعات العائلتين الكبيرتين، الشهابية والعطوات· قال أبو طلعت: "كانت القرية تعيش في ظل هذه النزاعات وكان الشهابية فقراء بالمقارنة مع العطوات الذين كانوا ملاكين وأصحاب ورش صناعية صغيرة·"
وأضاف: "بدأ الخلاف في الثلاثينات من القرن العشرين نتيجة محاولة إجبار فتاة جميلة على التزوج من رجل عجوز من الشهابية، فرفضت وهربت مع عشيقها فايز الفواز إلى الأردن· ثم عاد العاشقان إلى طبرية وأقاما فيها إلى أن عثر عليهم عم الفتاة حسن طاه فقام بحرق البيت وابنة أخيه في الداخل· وقد نفد البريطانيون عقوبة الإعدام بحق حسن طاه في سجن عكا· وكان لهذا الحادث أثر سيّء على جو العلاقات الاجتماعية في القرية، وهو نتيجة لجهل الناس في تلك الأيام·"

ويقول نايف حسن إن الخلاف بين الشهابية والعطوات ظل مستمرّاً بعد التهجير، إذ "امتنع الرجال، وخاصة الشبان، عن حضور أعراس العائلة الأخرى·" وقد فسر نايف حسن استمرار هذا العداء في المنفى بالجهل، وقال: "إن على المتعلمين أن يقودوا المجتمع بدل المخاتير··· كان الناس في مستوى تعليمي منخفض، لم يكن أي من المختارين أبو دهيس وفواز متعلما بشكل جيّد·"

وكانت تقع نزاعات حول الأرض· في العشرينات، أقيمت لجنة لحل الخلافات المتعلقة بالأرض· تحدث يونس الألماني عن نزاع شيق بين رجلين من عائلتين مختلفتين، هما محمد عزام ومحمد حسين الشهابي· قال: "اختلف الفريقان حول قطعة أرض في منطقة الفايق، ولم تكن آنذاك حدود الأراضي واضحة· وكان محمد الشهابي من عائلة كبيرة ذات نفوذ في القرية بينما كان محمد العزام من عائلة كبيرة أيضا لكنها ليس بوزن الشهابية· وقد وكّل الشهابي أحمد الشقيري (أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية) للدفاع عنه في المحكمة، بينما وكّل عزام محام مشهور آخر هو حنا عصفور·"

"وبعد عقد جلستين في المحكمة في طبرية لم يعد بمقدور عزام الذي خسر القضية رسميا أن يتحمل تكاليف إضافية للمحكمة والمحامي فتوجه إلى لجنة الأراضي في القرية لتدرس القضية وتبت فيها· وفي الاجتماع سأل عزام الشهابي عن نوع الأشجار المغروسة في الأرض، فقال هذا: زيتون وتين· أما عزام فقال إنّه زرع الكرمة· فذهب أعضاء اللجنة إلى الأرض للتحقق من أقوالهما وقلبوا التربة فوجدوا جذور كرمة ولم يجدوا أثرا للتين أو الزيتون، فحكموا لصالح عزام وأعادوا له أرضه·"

الأعراس والاحتفالات:

إن للأعراس مكانة خاصة في حياة اللوبيين، فلم يكن العرس بداية حياة جديدة لأبناء وبنات القرية فحسب، إنما مناسبة لالتقاء العزاب وتقصي إمكانات الارتباط بأحد الأقارب أو الأصحاب من القرى المجاورة أيضا· قالت زهرة إبراهيم خليل[٧٥] زوجة أبو طلعت مختار اللوبيين في الأردن: "لم نكن أغنياء لكننا كنا نشعر بالفخر، وكانت مناسبات الأفراح هذه تجمع بين الأقارب والأصحاب وتدخل البهجة إلى قلوبنا·"

كانت الأعراس تدوم عدة أيام وتمتد أحيانا على مدار أسبوعين، وذلك حسب مكانة العرسان· فقد دام عرس مصطفى أبو دهيس مثلا، وهو ابن المختار، مدة أسبوعين كاملين، بينما دام عرس أبو طلعت أسبوعاً· وقال أبو طلعت: "كانت حفلة كبيرة شارك فيها الجيران وأبناء القرية جميعاً"· وروى أحمد حجو[٧٦] (أبو حسن) الذي تزوج في العام ١٩٣٥ إنه أراد أن يكون عرسه كبيراً، قال: "جرى عرسي في الميدان بجانب بابور

---

[75] زهرة إبراهيم خليل من مواليد عام ١٩٢٣· أجريت المقابلة معها بتاريخ ٦ نيسان ١٩٩٦، في إربد بالأردن·

[76] أحمد حجو (أبو حسن) من مواليد عام ١٩٠٤· أجريت المقابلة معه بتاريخ ١١ أيلول ١٩٩٥·

الشركسي· وسارت فيه أكثر من ثلاثين فرساً·" كان الضيوف يجلبون الهدايا كالغنم والبقر· أما العائلات الفقيرة فكانت تقدم هدايا من محاصيلها الزراعية كالزيتون والذرة وما شابه·

لقد كان للنكبة أثر عميق في نفس الكثير من اللوبيين، وقد طغت على ذكرياتهم الجميلة عن لوبية· رفضت تمام عجاينة (أم حسن) مثلا أن تتحدث عن لوبية، وظلت تقول: "لوبية راحت"· كان لها ولدان توفيا في وقت باكر· الأول لدغته أفعى والآخر وقع عن الحصان· وتوفي لها ولد ثالث بالسرطان· حاولت أن أقنعها بالتحدث على مدار شهرين أثناء إجرائي للبحث في الجليل، إلا أنها رفضت وظلت تسألني عن مصير بعض المسنين الذين غادروا إلى لبنان أو سوريا· ثم انبثق عنها الكلام فجأة، فبدأت تحكي عن عرس جرى في حارة العطوات في لوبية، وتذكرت الكثير من أغاني الأعراس ونبذ عن حياة القرية· كانت القصة الأولى التي تذكرتها تخص خلاف بين مغنين (هدّاية) من دير الأسد وحطين· وقع الخلاف لأسباب عائلية تتعلق باحترام عادات الزواج، فالعادة كانت تقضي بالتزوج من داخل الحمولة·

كاس انصب على المصب
ولا تعاديني يا من صب
قهوة سودا حجازية
للأفندية بتنصب
يا من صب لا تعاديني
وبنت عمي بتحميني
معها سيف وسكينة
بتخلّي دمّك يتبعثر
قومي اطلعي ويش عليك
خلّي الحكي مني وليكِ
كانّك زعلان برضيك
مندل جناح الورور
مندل ما أنا رايدلك
وللي الأزعر بقتلك
أخلّي أخوي يسبقلك
طبش راسك بالحجار
خلّي أخوك يلاقيني

يا بسترجي يحاكيني
معاي سيف وسكينة
بخلّي دمه يتبعثر
قومي اطلعي ويش عليكِ
خلّي الحكي منّي واليكِ

ثم روت لي أم حسن عن عرسها في لوبية· قالت: "لقد تزوجت في العام ١٩٤٢، وكان عمري ثلاثة وأربعين عاما حين غادرنا لوبية· كان زواجي نتيجة تبادل مع عائلة زوج أختي محمد إبراهيم· واستمر العرس أسبوعا وشارك فيه الجيران وأهل البلد·"

"عشت في منزل واحد مع زوجي عبد الرحمن وأخوته الخمسة وهم عيسى وعبد الرحيم ومحمد وعيد وعايد· جميعهم كانوا متزوجين في الدار ويعيشون مع زوجاتهم وأطفالهم· كان الضيوف يعتقدون أننا أخوات· كانت الزوجات من عائلات مختلفة· غزالة الوحش كانت من المغار·"

"كان في الدار قاع داخلي وفوقه سدّة مفتوحة، من يجلس فيها يشعر أنه في العلالي· كانت القرية تحسد الأخوة الستة· زوجي كان الأصغر بينهم وكان الأقوى أيضا· كان مختارنا محمود حسين (والد أبو طلعت)، وكان له أربع زوجات· يوسف الموسى كان له ست زوجات"· آخرون أفادوا أيضا أن محمود حسين كان له أربع زوجات، لكن ليس معاً·

وقد روى نايف حسن من الأردن، طُرفًا عن أعراس القرية· قال: "أراد سعيد يونس أن يتزوج، وكان المأذون عوض أبو دهيس فنادى علينا لنكون شهودا على عقد القران، فقمنا بذلك وكنا أطفالا لم نتجاوز السابعة من عمرنا بعد!"

تصف قصص زهرة بعض نواحي بنية العائلة والعلاقات الأبوية السائدة في ذلك الوقت· قالت: "تزوجت في العام ١٩٤١ وعشنا أنا وزوجي في بيت من ثمانية أعمدة وأربع قناطر مع عمي رشيد· قام جدي بتقسيم الدار إلى قسمين لأنه كان على خلاف مع عائلته· وعندما بلغت العشرين رفض عمي زواجي من شخص غريب عن العائلة· وكانت عائلة عمي هذا تسكن بمحاذاتنا ولم تكن بيننا كواير اسمنت فكنا نسمع أصواتهم حين يتحدثون فيما بينهم· كان أخي خطيبا لابنتهم وكنت أنا خطيبة لابنهم، ودام ذلك ستة أشهر·"

"وفي أحد الأيام اختفت من منزلنا قطع من ثياب فاشتكى والدي للبوليس البريطاني فوضع خطيبي في السجن مع أخيه الذي كان يلقب بليشو. وبعد خروجهما من السجن طلبت منهما زوجة عمي عايد بأن يعطوها الثياب لتقول إنها هي التي سرقتها، لكنهما رفضا الاعتراف بالسرقة حتى أمامها. لكن أختي الصغيرة كانت متأكدة أنهما السارقان. فذهب أخي محمود خطيب أموني ابنة عمي إلى دار عمي وأخذ ثيابها ليبادلها بالثياب المسروقة. فوافقوا حينها على التبادل لكن أبي قال إنه لن يسمح بكتابة كتابي على ابنهم. وهذا ما حدث. خطب أبي فتاة أخرى لأخي كانت مخطوبة لأبن عمي، وفسخ خطوبتي. تزوجت من زوجي الحالي وأخي تزوج من أخته. كان مثل هذا التبادل مقبولا في ذلك الوقت."

كان جميع أفراد العائلة يشاركون في التحضير للزواج. قالت زهرة: "كانوا يحضرون للعرس أياما عديدة قبل اليوم الكبير. كانوا في الأول يدعون القرية كلّها، وفي وقت لاحق أصبحت العزيمة تقتصر على جيران العروس والعريس فقط. كان الرجال يدعون رجال القرية ويدبكون الدبكة[٧٧] الشعبية الفلسطينية الجميلة".

"كانت ليلة الحنّا تقام للعروس وللعريس. يوضع الحناء على يد العريس اليمنى وعلى أيدي العروس كلتيهما وكذلك على أرجلها ورأسها." ثم رددت زهرة أغنية الحنّاء:

حنّوا العريس ولا تحنّوا ديّاتي
ما أحلى النومِ بحضنِ البنيّاتي

يللمي يللمي <يا أمي> هاتيلي مخداتي
طلعتي من داري ما ودّعت خيّاتي

يالاهلي يالاهلي ما يجبر لكم خاطر
شنو اللي عماكو عن ابن العم هالشّاطر
شنوللي عماكو عن الخالي والعمي

ومن ثم يتابع العريس في الغناء:

---

[77] يعرف اللوبيون خمسة أنماط من الدبكة: الشعراوية، النصيرية، الشمالية، المغربية، الانكليزية.

وأعطيني بنتك يا اسماعيل، وابشر بعجّة الذخير

وبعد ذكر هذه الروايات والأغاني، قالت زهرة في خاتمة المقابلة إنها لم تغنّ منذ غادرت فلسطين في العام ١٩٤٨.

وقد تذكر نايف حسن أيضا، مثل الكثيرين من أبناء لوبية المسنين، أغاني أعراس. قال: "كانت النساء تدبكن وحدهن، وكان الرجال يجلبون العروس من دار أبيها وتتبعهم النساء بالزفة والغناء والرقص."

زلّوا زلّوا يا نصارى
زلوا عن الدرب زلّوا
تتمرق بنت الأمارة
يمرقوا الداعبين كلّن

Comment [MF24]: ذاكد

وقال نايف: "كان في القرية شخص مسيحي واحد اسمه نصري نخلة، وكان يغضب بشدة لسماعه هذه الأغنية. لكن الناس كانوا يقولون له إنها مجرد أغنية لا أكثر!"

وروت زهرة عن تجهيز العروس، فقالت: "في صباح العرس يقوم اللحام بتحضير المنسف [طبق من الارز ولحم الضأن واللبن المجفف] الخاص بالعرس ويرسله إلى دار أهل العروس. وخلال النهار يغني الرجال للعروس على ظهر الفرس وهي تحمل في يدها منديلا أبيض، علامة العفة والطهارة وصونها لشرف العائلة. وبعد الظهر يلتحق العريس بالاحتفال. يرفع الغطاء عن وجه العروس ويستمر الاحتفال بعد ذلك إلى حين. ومن ثم يغادر الضيوف ويتركون العريسين وحدهما. كانوا يضربون العريس أربع أو خمس مرات مزاحا، تشجيعا له ليدخل إلى عروسه."

وقد ذكر المسنون بالإضافة إلى الأغاني والدبكة وما إليه، استعراض الفرسان الذي كان يجري في الأعراس. قال أحدهم: "كانت الفرس تأتي من القرى المجاورة وليس من لوبية وحدها وتجتمع في ساحة تدعى زاتونات الشنبيشي شرقي مطحنة أبو دهيس. وكان العريس يجلس هناك ويقوم الفرسان بالاستعراض أمامه. مرة حين كان عبد الرازق على ظهر فرس في أحد الأعراس جنّت الفرس فسقط ومات، لكن العرس استمر رغم ذلك.

كان أخوته قد أشتروا الفرس من منطقة تدعى تل الفرس وأصبحت القصة عبرة عند اللوبيين".

"وكان المغني، وهو في العادة شاعر أيضا، يحضر بعد الظهر ومعه رجال القرية. كان بربيش يضع علامة على فرس العريس ليحميه من العين. وجرت العادة بأن تخاط بدلة العريس بخيط من دون عقد وكانت تفرغ زجاجة من عطر اسمه ميكادو على بدلة العريس وزجاجة عطر آخر على رأسه. كانوا يشترون العطر من دكان محمود شرعان. كان عند عوض أبو دهيس مسدّس على شكل عصا المارشال، يطلق منه النار في الأعراس. كنّا نعجب بشدة من هذا المسدس حين كنّا صغاراً. كانت الحياة بسيطة وبدائية لكنّها كانت جميلة."

وقد اختلفت عادات الحياة الاجتماعية في القرية عنها في المدينة. قالت زهرة: "كانت العادة أن تذهب العروس للعين لجلب الماء في الصباح الأول بعد ليلة العرس. وكانت مريم عباس وأصلها من طبرية تسخر من هذه العادة وتقول إن أهل المدينة في طبرية عندهم حنفيات في البيوت، وإنه لم يكن على العروس في طبرية أن ترمي الزبالة خارج الدار أو تذهب إلى الخباز لشراء الخبز!"

استمرت هذه المشاهد في حياة اللاجئين خارج لوبية لفترة ليست بعيدة، لكن استحواذ الثورة على المخيمات جعل الأغاني والاحتفالات الثورية تحل محل التراث الشعبي.

الفصل الخامس

علاقات لوبية بالجيران

"إللي بيتزوج أمي بصير عمي"
(مثل)

لقد ارتبطت لوبية بشبكة علاقات اجتماعية واقتصادية مع القرى الفلسطينية المجاورة، وكان تماسك هذه العلاقات يبدو واضحا في أوقات الأزمات. ما زالت ذاكرة هذه العلاقات حيّة إذ أشار العديد من الفلسطينيين خلال زياراتي للجليل إلى شجاعة اللوبيين وبأسهم. وقد سمعت شهادات مشابهة من عدة ضباط يهود شاركوا في احتلال لوبية. قال ناحوم عبّو: "إذا ذكرت اسم لوبية يتذكر الناس فوراً قرية شجاعة... لقد تميّز اللوبيون بين أهل القضاء بصمودهم، وكانت كلمتهم مسموعة عند أهالي باقي القرى."

اشتهرت لوبية بازدهارها وكرمها وحسن الضيافة فيها. وكان الزوار يقصدونها للمبيت أو لتناول الطعام أو لتقديم العلف لحيواناتهم. وكان لكل حمولة مضافة يتناول فيها عابرو السبيل والباعة المتجولين طعامهم أو يقضون ليلتهم. ويذكر أهل لوبية أن القرية كانت دائماً مليئة بالزوار.

ويذكرون أيضا علاقاتهم بجيرانهم اليهود. قال يوسف عيسى: "كنا ندعو جيراننا اليهود لاحتساء القهوة حين كنا نعمل بجانب بعضنا البعض في الحقول... كنا نسلّم عليهم وكانت التجارة بيننا ممتازة. وكانوا في الأوقات الصعبة يرسلون الوفود إلى مخاتيرنا طلبا للمحافظة على علاقات طيبة بيننا وبين المستوطنات المجاورة."

ويذكر يهود إسرائيليون أمورًا مماثلة عن العلاقات بين المجتمعين في طبريا. قالت استير ليفي، زوجة عزرا ليفي، أحد الضباط الذين شاركوا في احتلال لوبية عام ١٩٤٨: "كان جاري حسين يقول: سوف اتزوجك. كنا نسكن في عمارة مشتركة مع العرب وكنا نعلب معا ونتعاون فيما بيننا ونشترك في استخدام الأدوات المنزلية."

ويعتبر معظم اللوبيون المؤسسات الحكومية العثمانية والبريطانية والصهيونية خارجة عن نسيج العلاقات الاجتماعية التي كانت تربط بين العرب واليهود. وقد نوه اللوبيون وكذلك اليهود الإسرائيليين الذين قابلتهم، إلى أن جذر المشاكل بين الفريقين كان الغرباء يهودا وعرب، الذين قدموا إلى فلسطين من الخارج.

العلاقات بين العرب

لقد تأثر التاريخ الاجتماعي في لوبية بانتقال القبائل والسكان إلى القرية وجوارها، مثل عرب الدلايكة، والشركس، والشيشان، وعرب الصبيح، والمغاربة (المهاجرون الجزائريون الذين قدموا إلى فلسطين مع الأمير عبد القادر بعد ثورته ضد الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر).

قال أبو ماجد: "سكن عرب الدلايكة قرب لوبية في عهد العثمانيين، وبنى اليهود لاحقا مستوطنتين على أراضيهم، هما بيت جن ويمّة. معظم المستوطنين كانوا يهودا روس من كييف، أما في مستوطنة السجرة فقد كانوا جميعا من كييف. وقد بنت السلطات العثمانية نقطة عسكرية على تلة قرب السجرة لحماية المستوطنين من العرب."

كان سبب هجرة الشركس والشيشان إبان العهد العثماني هو احتلال الروس للقوقاز. قال أبو ماجد: "كان الروس في تلك الفترة يبعثون الدمار والخراب في بلاد القوقاز فهرب المسلمون من الشركس والشيشان إلى البلاد الإسلامية جنوبا ووصلوا إلى فلسطين، وقامت الحكومة العثمانية بتوطينهم في طبريا ولاحقا في الشجرة."

"كان أهل الشجرة قد باعوا نصف أراضيهم إلى عائلة لبنانية باسم المدوّر لأن شخصا من القرية كان قد قتل رجلا من عرب الصبيح فغادر السكان خوفا من انتقام عرب الصبيح الذين كانوا يعرفون بقسوتهم، فتشردوا أهل الشجرة عن بلدهم لمدة عامين في لوبية وقرى اخرى. ولما طلبوا دفع الدية والصلح مع عرب الصبيح، كان المبلغ المطلوب أكثر مما يملكون فاضطروا بيع نصف أراضيهم. كان المدوّر الذي يملك نصف العين يترقب تلك الفرصة."

"أراد المُلاّك الجدد إخراج الشركس من القرية، فاقترح القائمقام إعطائهم أرضا في الجوار مقابل أن يوفر المدوّر تكلفة مواد البناء ويقوم الشركس بإنجاز أعمال البناء بأنفسهم. وهكذا بنيت قرية كفر كمّا على النمط الروسي مع قرميد أحمر."

"وقد بنى المدوّر كذلك بناءً من طابقين على مساحة دونمين في القرية، خصص الطابق الأول فيه لإيواء الحيوانات وجعل الطابق الثاني مسكنا له. وبعد عدة أعوام بدأ يخسر نقوده فباع الأرض لليهود، فأقام هؤلاء مستوطنة سجرة فيها، على بعد كيلومترين من قرية الشجرة الأصلية."

أما سكان كفر سبت فقد جاءوا من الجزائر مع الأمير عبد القادر الجزائري الذي ثار على الفرنسيين في الجزائر وأبعد عنها إلى سوريا في القرن التاسع عشر. وقد ظل عبد القادر في سوريا بينما سكن بعض أتباعه جنوبي لوبية في منطقة تدعى الشفا، وبنوا قرى كفر سبت وعولم ومعذر. وقد سكن آخرون في سمخ وشفاعمرو والكساير وكوكب.

وقال أبو ماجد: "كانت أرض كفر سبت ملكا لفلسطينيين من عائلة البريدي، وفي أحد الأيام أشعل مجهولون العشب اليابس في الأرض فانتشرت النار في المنطقة كلها لمهب الرياح الغربية. كان رجل من لوبية اسمه محمد مصطفى قد مر من هناك صدفة وحاول أن يخمد النار بعباءته فعلت فيها النيران وأودت بحياته. حين وصل خبر وفاته إلى القرية قام الأهالي بمهاجمة كفر سبت ظنّا أن محمد مصطفى قد تعرض لعملية قتل عمدا، فغادر أهالي كفر سبت بيوتهم فيما عدا عائلة واحد تدعى الحميد، كانت ترتبط بعلاقات قرابة باللوبيين. ومن ثم قامت الحكومة بتوطين المغاربة في القرية شبه المهجورة، مثلما فعلت في حادثة الشجرة."

كانت علاقات لوبية وقرية طرعان تشوبها حوادث سلبية، إلا أن عجاج سعد العدوي (أبو عجاج)[78] ما زال يحمل ذكريات ظريفة عن العلاقات بين القريتين. قابلت أبو عجاج في منزله في طرعان بجوار لوبية في أيار من عام ١٩٩٩، وكان البيت مقرّا للنشاط الانتخابي تحضيرا للانتخابات البرلمانية في إسرائيل. وكان أبناء أبو عجاج منهمكين بتوزيع المناشير والتحضير للقاءات مع عزمي بشارة (رئيس حزب التجمع الوطني الديمقراطي) المرشح في الانتخابات للكنيست.

---

[78] ولد عجاج سعد العدوي (أبو عجاج) في العام ١٩٣٢. وقد أجريت المقابلة معه بتاريخ ٩ أيار/مايو في طرعان، إسرائيل.

روى أبو عجاج: "كانت علاقة لوبية مع طرعان معروفة للجميع. كان أهل لوبية يفزعون دوما لطرعان في الشدائد. وكان مختار لوبية يزور مختارنا على الدوام. لكن وقعت بعض الحوادث الصغيرة فعكرت صفو الأجواء بيننا. كانت بين القريتين بركة ماء في أرض المسكنة تعود ملكيتها لقريتنا، فادعى اللوبيون أن لهم حق فيها. وكانت تقع أيضا خلافات حول الأراضي، لكنها كانت قليلة وتحدث بين فترات طويلة."

وقد تطرق معظم الأشخاص الذين قابلتهم إلى الخلاف مع عرب الصبيح، وشكلت قصة انتقام العرب لمقتل زعيمهم جزءا من ميثولوجيا الشجاعة التي يرويها اللوبيون عن أنفسهم. ولا شك أن القصة حقيقية إلاّ أن ثمة الكثير من المبالغة فيها لأن عرب الصبيح اشتهروا أيضا بشدتهم وبأسهم.

قال أبو ماجد إن عرب الصبيح قدموا إلى المنطقة إبان العهد العثماني، وأضاف: "كان عقيل الحاسي من قبيلة الهنادي قد عين حاكما للجليل، فجلب عرب الصبيح معه. وكانت العادة تجري بأن يرسل زعيم القبيلة حين يصبح قويا كفاية، طلبا إلى استانبول بتعيينه حاكما على منطقته مقابل أخذ جمع الضرائب للخزينة على عاتقه. وعقيل كان أحد هؤلاء الذين عينتهم الحكومة."

عندما سألت رمزية حسن أبو دهيس (أم عصام)[٧٩] عن تاريخ لوبية، اختارت أن تبدأ بقصة المعركة ضد عرب الصبيح. أم عصام هي زوجة أبو عصام وابنة المختار أبو دهيس، ولها ثمانية أولاد وابنتين. تبدو أم عصام بمظهرها الخارجي وطريقة إدارتها لأمور المنزل ذات شخصية قوية توحي بشخصية أبيها. يعرف جميع اللوبيين في دير حنا والمكر أم عصام ويكنّون لها بالغ الاحترام.

الشخص الذي قتل في المعركة مع عرب الصبيح هو جدّ أم عصام. قالت: "وقعت المعركة بين لوبية وعرب الصبيح المعروفين في المنطقة كلها منذ زمن جدي. جاء أشخاص من العرب وأكلوا وناموا وتلقوا ضيافة حسب الأصول، لكنهم خرجوا من القرية متسللين وسرقوا بعض الأبقار من الفلاحين. فلحق بهم جدي مع مجموعة من الرجال وكان أبي

---

[79] ولدت رمزية حسن أبو دهيس (أم عصام) في العام ١٩٢٥. أجريت المقابلة معها في ٢٥ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥.

معهم. قتل جدي في المعركة وقت كذلك فارس مشهور من العرب اسمه الجلمود. عاد أبي إلى القرية واقسم بأن يشرد عرب الصبيح وهذا ما تم فعلا فيما بعد."

وقد روى أحمد، ابن أم عصام، بقية القصة التي تشكل فيما يبدو جزءا من تراث العائلة. قال: "كان عمر والدي أربعة عشر عاما حين قتل والده. وبعد عام حاول عرب الصبيح غزو لوبية فكان اللوبيون مستعدين لذلك هذه المرة. كان عرب الصبيح عندهم مقاتل شجاع اسمه الجلمود وكان في لوبية شخص اسمه كايد ضعيف البصر لدرجة انه كان يركب حصانه في الاتجاه المعاكس. وقد استطاع كايد قتل الجلمود في المعركة لأن الأخير كان يستخف بكايد ولم يعره أي انتباه."

وقد روى لي يوسف عيسى قصة أخرى عن كايد. قال: "حين جاء أشخاص من الأردن لسرقة الماشية من القرية لحق بهم كايد دون توقف لأنه لم يستطع السيطرة على حصانه. وكان يصيح بأعلى صوته: خيّال الخيل كايد! خيّال الخيل كايد! فخاف اللصوص منه وهربوا تاركين الماشية المسروقة وراءهم. ومرة جاءوا إلى لوبية وطلبوا أن يلتقوا بهذا الخيال فدهشوا لصغر حجمه وقصره وخجلوا من أنفسهم لأن رجلا كهذا أخافهم ومنعهم من إتمام السرقة."

وروى أبو خالد أيضا، وهو صديق أبو خليل، عن معركة عرب الصبيح. قال: "أنا من الشجرة التي تقع بين لوبية وعرب الصبيح. وقعت المعركة كما سمعت في العام ١٩٠٢."

وقد روي أيضا أن فواز العلي زعيم الشهابية دعا رجال القرية إلى منزله بعد مقتل المختار أبو دهيس، وقال لهم: إما نحن أو عرب الصبيح في هذه المنطقة! وأعطت النساء ذهبها لشراء البنادق. كان فواز العلي قد اختلف سابقًا مع أهل القرية فلجأ إلى عرب الصبيح ولذا كان يعرف موقعهم ومعلومات أخرى ساعدت اللوبيين في الانتصار عليهم.

تعرض عرب الصبيح للتشتت والتهجير مثل كثير من أبناء الشعب الفلسطيني، ويعيش قسم منهم في قرية عرب الشبلي على سفح جبل طابور. وما زالت هذه المعركة تثير الحساسية بين اللوبيين وعرب الصبيح في المنفى. فقد أخبرني أبو خليل عن شاب من الصبيح ادّعى أن العرب هم الذين انتصروا في تلك المعركة، وقال إنه عثر على امرأة من لوبية أسمها أم محمد الجليلي كان عمرها مائة وعشرين عاما وهي التي روت له ذلك.

وروى أبو ماجد قصة أخرى عن عقيل الحاسي والحكومة العثمانية تدل على نوع العلاقات بين الحكومة المركزية وأجزاء الإمبراطورية· قال: "طلب العثمانيون من شمدين آغا زعيم الأكراد في دمشق أن يعتقل الحاسي بعد امتناعه عن تأدية الضريبة· فأرسل شمدين ابنه حسن آغا مع مائتي فارس لاعتقاله، وكان بعقيل أن عرف بالأمر فنجح بتفادي المفاجأة· وقد جرى الاشتباك بين الطرفين في لوبية قرب حجر النصراني واستمرت المعركة منذ الصباح إلى الظهر وكان اللوبيون يشاهدون ما يجري من على أسطح منازلهم·"

تدعى المنطقة التي قتل فيها حسن آغا ابن شمدين لدى اللوبيين باسم ذراع شمدين، وهي المنطقة التي أقيمت عليها جفعات افني مؤخرا، في العام ١٩٩٢· وما زال قبر حسن شمدين موجودا هناك بجانب قبر النبي شوامين· كان اللوبيون مع الآغا في تلك المواجهة، وقد خطب فيهم الحاسي بعد انتصاره: يمكنكم الآن أن تأخذوا جثة زعيمكم· وكانت أم حسن شمدين تزور قبر ابنها كل عام في أحد الأعياد· كان أطفال اللوبيين ينادون عندما يرونها: جاءت أم الآغا· حين زرت لوبية مع أبو نمر أراني مكان الموقعة، وقال: "وقعت هناك في الكنارة شمالي الشارع حيث أقيمت بعض المصانع على أرض لوبية·"

وأكمل أبو ماجد الرواية، فقال: "حين سمع شمدين بمقتل ابنه أرسل قوة أخرى للانتقام بقيادة ابنه الآخر رسول، وقال له: إما أن تموت مثل أخيك أو تعود برأس الحاسي· وحين وصل جيش رسول إلى جوار عين ماهل ليس بعيدا عن كفركمّا على حدود لوبية، كان الحاسي قد غادر مع البدو إلى منطقة الكرك (في الأردن اليوم)، فأصبح رسول حاكما على الناصرة·"

"وفيما بعد أقام الحاسي عند شيخ عبلين لمدة عام تقريبا، لكنه لم يستطع تحمل عيش البداوة فذهب للبحث عن عبد القادر الجزائري الذي كانت له مكانة مرموقة في دمشق وطلب أن يتوسط لإصلاح الأمر بينه وبين شمدين، فذهب الرجلان إلى المهاجرين في حارة الأكراد بدمشق وعقدوا الصلح حسب الأصول· ربط العقال على عنق الطرف المذنب، أي الحاسي، وقام شمدين بمسامحته قائلا إن من تجرّأ على قتل ابنه لا بد أن يكون رجلا شجاعا، وهكذا أذن له بالعودة إلى عبلين حيث قضي بقية حياته ومات ودفن فيها·"

العلاقات مع المجتمع اليهودي:

كانت حياة اليهود في فلسطين مختلفة تماما قبل مجيء موجات المهاجرين المتعاقبة من أوروبا، وقد تحدث العديد من اللوبيين عن علاقات جيرة حسنة كانت تسود بينهم وبين اليهود في فلسطين قبل قيام الصهيونية السياسية (التي يحددها بعض المؤرخين في العام ١٩٠٤ مع بدء المهاجرة الثانية خاصة من روسيا)، وقبل إعلان بلفور عام ١٩١٧ الذي وعدت فيه الحكومة الانتدابية بدعم إقامة دولة يهودية في فلسطين.[٨٠]

قالت أمينة إسماعيل: "كانت العلاقات بيننا طبيعية. كنا نشتري منهم البضائع في طبريا." وذكر يوسف العيسى أيضا علاقات طيبة بين الجيران العرب واليهود، كما ورد آنفاً. كانت طبريا تشكل نموذجا للعلاقات العربية اليهودية الحسنة. قال عزرا ليفي[٨١]، أحد الضباط اليهود الذين قاموا باحتلال لوبية في العام ١٩٤٨: "ولدت في طبريا في ٢٦ كانون ثاني ١٩٢٦، وما زلت أذكر أصدقائي الفلسطينيين القدامى أبو حرب ونعيم الحلاق وأولاده نظمي وعادل. كانوا ضباطا في الجيش السوري." فقاطعته زوجته استير ليفي[٨٢] قائلة: "كان جاري حسين يقول لي سأتزوجك" وروت كيف كانوا يعلبون معا ويعيشون مع جيرانهم العرب في نفس العمارة.

وقال عزرا: "كان الشيخ الطبري ورئيس البلدية موشيه [ساهار] أصدقاء وقد اتفقا على أن لا يتركا مجالا للشقاق بين الطرفين. كان عدد المسلمين في البلدة ٣،٥٠٠ نسمة في العام ١٩٤٨ وكان عدد اليهود ٤،٥٠٠. كان المسلمون يشكلون أغلبية السكان في السابق وكان

---

[80] في الثاني من أيلول عام ١٩١٧ أرسل أرثر بلفور وزير الخارجية البريطانية رسالة الى اللورد روتشيلد أحد زعماء الحركة الصهيونية في تلك الفترة رسالة يعده فيها بدعم بريطانيا للمساعي الصهيونية في فلسطين، أصبحت تعرف بوعد بلفور. ويقول نص الرسالة: "إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى". (الترجمة مأخوذة عن موقع الجزيرة الالكتروني، قسم المعرفة). من الجدير التنويه بأن الوعد يذكر حقوق سياسية لليهود في فلسطين وخارجها (وان كان يخص فلسطين بعبارة البيت القومي الغامضة) ، بينما يقصر حقوق العرب على المجال الديني والاجتماعي.

[81] عزرا ليفي Izra Lavi من مواليد عام ١٩٢٦. أجريت المقابلة معه ومع زوجته أستير لافي بتاريخ ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥، في منزلهما بطبريا، إسرائيل.

[82] أستير لافي Ester Lavi من مواليد عام ١٩٣٧. أجريت المقابلة مع أستير وزوجها عزرا لافي بتاريخ ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥، في منزلهما بطبريا، إسرائيل.

رئيس البلدية مسلماً، لكن حين أصبح اليهود الأغلبية انتخب رئيس يهودي· كان العرب واليهود أخوة، واتفق زعماء المجتمعين على تجنب المشاكل· في صفد كانت هناك مشاكل· كان عرب صفد حين يأتون إلى طبريا يقولون: المسلمون في صفد زهور وفي طبريا حثالة وجبناء·"

وأكد إلياهو عنتابي، وهو صديق لعزرا شارك في اللقاء، أن العلاقات بين العرب واليهود في البلدة كانت جيدة حين كان هو سكرتيرا لبلدية طبريا في الثلاثينات· وشدد على وجود علاقات صداقة بين الطرفين· تحدث العربية بطلاقة· قال: "ولدت في طبريا، وبدأت أعمل في البلدية حين بلغت التاسعة عشر· في العام ١٩٣٦ أصبحت سكرتيرا للبلدية، وقد أُحلت إلى التقاعد قبل أربع سنوات· كنا نعيش كالأخوة هنا في طبريا، ٦،٥٠٠ يهوديا و ٥،٠٠٠ مسلما· كان هنا مسيحيون أيضا· وما زال عندي أصدقاء عرب·"

وأضاف: "عندما بدأت المشاكل في العام ١٩٤٨ اجتمع قادة الطرفين لمعالجة بعض الأمور· في العام ١٩٤٧ عملنا كل يوم مع سكرتير البلدية صدقي العبد الله أبو رمزي من السابعة صباحاً حتّى الثانية بعد الظهر· بدأت معركة طبريا يوم الخميس وقد حذرنا أبو رمزي لكي نغلق البلدية· ذهب إلى البيت لكنه بقي على اتصال مع رئيس البلدية· بدأ إطلاق النار في التاسعة صباحاً· هذا إثبات على أننا كنا نعيش سوية ونكترث لبعضنا البعض· وحين زرت الأردن مؤخّرًا التقيت بأصدقائي من طبريا الذين لم أرهم منذ العام ١٩٤٨·"

أبو وجدي، وهو صديق لي[٨٣]، كان معروفاً في طبريا وكانت تربطه علاقات طيبة ببعض الضباط اليهود الذين شاركوا في احتلال لوبية· بعد النكبة، عمل أبو وجدي في محطة وقود وكان يمارس هواية الرسم· قال: "كنت مرة في بيت أبو نمر (حبيب كهالة) وسمعته يقول لساهار: لقد طردتَ العرب من طبريا··· لماذا لم تنجح أنت والمفتي في السيطرة على الأمور؟ قال ساهار: لا، هذا غير صحيح! ما زلت احتفظ بورقة تحمل توقيعي وتوقيع المفتي، تعهدنا فيها بعدم القيام بنشاطات عدائية في طبريا· يقول المثل: إللي بيتزوّج أمّي بصير عمّي· لا بدّ أن يبقى كل من اليهود والعرب في هذا البلد·"

---

[83] ولد أبو وجدي في العام ١٩٤٣· شارك أبو وجدي في اللقاء مع عزرا واستير لافي في منزلهما في طبريا، في ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥·

ناحوم عبّو هو كاتب، وقد شارك في كل حروب إسرائيل قبل وبعد قيامها. وكان بين الضباط الذي دخلوا لوبية في العام ١٩٤٨. يتحدث العربية بطلاقة ويعرف اللوبيين جيداً. لم يظهر أي قلق أو تردد في الخوض في أدقّ التفاصيل، إلاّ في حالات قليلة مثل إطلاق النار على شخص عربي في طبريا. بدأ حديثه في المقابلة بشرح أصل اسمه التوراتي ليثبت جذوره في البلد.

قال: "ولدت هنا لعائلة دخلت سجل التاريخ منذ ٢٥٠ عاماً. الأحرف الأولى من اسم عائلتنا مأخوذة من التوراة (العين من عسوييم؛ والباء من بإيمت؛ والواو من وياشار – أي أننا أناس مستقيمين). لقد اشترت عائلتنا الكثير من الأراضي في روش پيناه، وصفد، وميرون، والشجرة. عمي، اسمه شلومو الخيال، ظل في السجرة حتى العام ١٩٢٢، وعملت عنده مجموعة من لوبية وكفر سبت. التقيت فلسطينيين من مناطق عديدة كانوا حين يسمعون اسمي يحكون لي عن عائلة عبّو. وما زال عندي أصدقاء عرب."

لقد أكد كل من اللوبيين واليهود الإسرائيليين الذين قابلتهم، أن المشاكل بين العرب واليهود نشأت بسبب قدوم الأجانب إلى فلسطين. قالت أمينة علي إسماعيل[٨٤]: "بدأت المشاكل حين جاء يهود من الخارج إلى فلسطين، فخلقوا المشاكل لنا ولليهود المحليين." وقال عزرا: "في العام ١٩٤٨ جاء متطوعون من سوريا والعراق إلى طبريا، ومن هنا بدأت المشاكل. وقد كتب موشيه ساهار عن ذلك. في أحد الأيام أطلقوا النار على اليهود وحرقوا سيارة. وبعد ذلك بفترة وجيزة اجتمع ساهار والمفتي لإصلاح الأمور بينهما، لكن المشاكل بين العرب واليهود بدأت بعد ذلك بشهر."

وأضاف: "كان عندي صديق من حزب النجدة وكنا نلعب كرة القدم معا في النادي، قال لي: يا عزرا لماذا تأتي إلى هنا كل يوم؟ يوجد هنا غرباء وقد يطلقون عليك النار. فقلت له: أنا من طبريا وهذه بلدي ويحق لي أن أذهب حيث أريد. كنت أسير في أحد الأيام في زقاق بجانب سوق السمك ومعي صديق يحرسني اسمه دافيد شيبي، وكان يتحدث العربية بطلاقة. رأيت عشرة رجال يبدون وكأنهم بانتظاري فراودني الشك وقلت لدافيد أن يغير المسار لتفادي الكمين. وحين نادى الحراس العرب: من هناك؟ أجابهم صديقي دافيد بالعربية. ومنذ تلك اللحظة عرفت أني بخطر. كلامي هذا هو لإثبات ما قلته لك عن أن العلاقات كانت جيدة بيننا حتى قدوم الغرباء."

---

[84] ولدت أمينة علي إسماعيل عام ١٩٢٩. أجريت المقابلة معها في الدنمارك في ١٢ أبريل، ١٩٩٥.

لناحوم أيضا ذكريات مشابهة· كان محكوما بالإعدام من قبل السلطات الانتدابية بتهمة قتل عربي انتقاما لمقتل أصدقاء له على يد عرب فلسطينيين·[٨٥] قال: "في طبريا، اعذرني لقولي هذا، كان العرب اليهود يعيشون كالأخوة، لكن المشاكل بدأت بعد تدخل الغرباء· في العام ١٩٢٩ حين وقعت المشاكل في صفد لم يحدث شيء في طبريا· اجتمع زعماء العرب مثل الشيخ نايف الطبري مع نور أبو العافية وشمعون دهّان، إلاّ أنّ المفتي الحسيني لم تعجبه هذه العلاقات الايجابية فأرسل رجاله لافتعال المشاكل·"

وفي حالات معينة ظلت العلاقات مع الطرف الآخر قائمة بعد العام ١٩٤٨· حسام أبو دهيس[٨٦]، حفيد المختار خليل العابد، حدثني عن العلاقات الطيبة بين جده وحاييم لافيكوف، وهو ضابط برتبة رفيعة في الجيش الإسرائيلي· قال: "أعرف بالتأكيد أن يهوديا باسم حاييم لافيكوف، وقد جاء مع عائلته من بولندا في العام ١٩١٥، كان يعمل في أرض جدي· زرته قبل عدة سنوات في منزله في حولون بجوار تل أبيب· وأخبرني أن والده أوصاه باللجوء إلى بيت المختار حاج خليل في حال انتصر العرب في الحرب· وأما إذا انتصر اليهود فعليه أن يحمي عائلة الحاج خليل· كان عمي سعيد الذي يعيش في الأردن قد فقد الاتصال بابنه إبان الثورة فذهبت إلى حاييم لأطلب منه المساعدة في العثور على ابن عمي في أحد السجون الإسرائيلية· كان حاييم آنذاك ضابطا رفيع المستوى ومسئولاً عن شئون الأقليات في الجيش الإسرائيلي· قال لي حاييم: سوف ابذل كل ما بوسعي للعثور عليه بسبب احترامي للحاج خليل، وعلمنا لاحقا أنّ ابن عمي كان قد قتل في لبنان·"

لقد حاولت الاتصال بحاييم في تل أبيب وقيل لي أنه توفي مؤخراً·

وقد تحدث أبو نمر كذلك عن استمرار العلاقات بعد النكبة، وأبو نمر كما ورد سابقا هو الشخص الوحيد من لوبية الذي ظل بحوزته قسم من أراضي لوبية· قال: "عشت في لوبية منذ كنت في السابعة من عمري حتى الثامنة عشر، وأحببت الحياة فيها كثيرا· لم أواجه مشاكل مع المستوطنين المتدينين في لاقي وجفعات أفني (اللتان بنيتا على أراضي لوبية)،

---

[85] في رسالة إلى حاكم لواء الجليل في ١٩ آب/أغسطس ١٩٤٢، رفض د· هيدلي طلب العفو الذي قدمته مازل والدة ناحوم بشأن ابنها· تقول الرسالة: "لا أرى سببا للتوصية بالعفو ذلك لأن العربي المقتول لم تكن له أي علاقة بالهجمة السابقة ضد أخ السجين ، ولا يبدو لي أنّ هناك أية اعتبارات مخفّفة تجعلني أتفهم جريمة قتل شنيعة جدًا، بعد أن لم تخرج المحكمة حكمها بالإعدام على المتهم إلى حيّز التنفيذ·" (الارشيف الاسرائيلي، ملف رقم: 2692/T.461/N.

[86] حسام أبو دهيس هو أبن رمزية أبو دهيس (أم عصام)· أجريت المقابلة مع حسام في الناصرة بتاريخ ٢٥ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥·

بل قد يفاجئك أن مستوطني لافي أقاموا مظاهرة قبل عدة أعوام وشرعوا بإغلاق الطريق المؤدي إلى طبريا، وكان مطلبهم أن تشق الحكومة طريقا زراعية إلى أراضيّ. وقد دهشت الحكومة من موقفهم وهذا وقيامهم بإغلاق الطريق الرئيسي لمدة ساعة. لم أكن موجودا حين حدث ذلك. وقد حصل أمر مشابه حين سقط خزان وقود إلى أرضيّ. جاء أهل الكيبوتس وحفروا خندقاً حول بستاني لكي لا تنتشر الحريق التي نشبت عقب سقوط الخزان إليه."

العلاقات مع البريطانيين:

كانت العلاقات مع البريطانيين هشّة منذ البداية نتيجة دعم هؤلاء لمشروع إقامة وطن قومي لليهود في البلاد. وقد اعترضت القيادة العربية الفلسطينية على قرار الدول العظمى منح بريطانيا انتداباً على فلسطين. وكان الإحباط الناتج عن سياسة بريطانيا إزاء مبيعات الأراضي والمهاجرة اليهودية قد أدى إلى العديد من الاحتجاجات كانت ذروتها الثورة الكبرى في الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩.

عمل حوالي ٤٦ لوبي خلال فترة الانتداب كموظفين لدى الحكومة في التعليم والشرطة وجني الضرائب والحراسة. وكان الالتحاق بالشرطة بالنسبة للبعض، مثل نايف حسن، وسيلة لتجنب مشقة العمل في الأرض. قال: "ذهبت مع مجموعة يبلغ عددها ٢٧ شخصا للالتحاق بالشرطة لأني وجدت العمل في الأرض صعباً. وقد قبلوا منا ستة فقط. عمي عبد الرحمن غضب من ابنه جودي لالتحاقه بالجيش. تركت لوبية بتاريخ ١٨ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٤٢ والتحقت بشرطة الحدود في الزرقاء بجوار عمان. وفيما بعد خدمت لمدة شهرين على الحدود التركية السورية في مكافحة التهريب، وعدت إلى الأردن لأعمل سائقاً."

لقد استخدم البريطانيون الفلسطينيين كحجر في لعبة شطرنج سياسية إقليمية. قال نايف: "أمرت الشرطة بالذهاب إلى العراق لقمع حركة رشيد علي الكيلاني في بغداد.[87] وحين وصلوا إلى الحدود الأردنية العراقية رفضت الوحدات العربية تنفيذ الأوامر بقمع الثورة. كان العراقيون يريدون الاستقلال ولم يقبل أفراد الشرطة العرب، ومعظمهم من

[87] أعلن رشيد علي الكيلاني الثورة ضد البريطانيين في ٣١ آذار ١٩٤١، بعد استقالة نوري السعيد. لكن تدخل القوات البريطانية أدّى إلى خروج الكيلاني وحزبه في ٣٠ أيار إلى إيران وعودة نوري السعيد إلى الحكم بحماية البريطانيين.

الفلسطينيين، المشاركة في قمع هذا المطلب· قام البريطانيون بمعاقبة هذه الوحدة بالذات وحلّوها· حصل ذلك إبان الحرب العالمية الثانية·"

كانت فرقا من لوبية نفسها تطلب أحيانا من البريطانيين التدخل في الخلافات الداخلية أو الانتصار لفريق على آخر· قال يوسف اليوسف: "قرر مصطفى أبو دهيس وزكي أحمد سليمان من عائلة حجو مرة الخروج للصيد، فأعترضهم علي القيم من الشهابية ونصحهم بألاّ يقومان بذلك· وحين لم يأبها بكلامه قام بإطلاق النار في الهواء لاجتذاب الشرطة البريطانية إلى المكان· وحين وصلت الشرطة قال لهم علي بأن الثوار يخططون لاقتحام القرية ليلاً· كان الانكليز يوظفون بعض الجواسيس ليفتحوا عيونهم على من يشكّون باضطلاعهم بالثورة·"

"وفي حادثة أخرى قام مصطفى الحوران، وهو قريب أبو دهيس، بإطلاق النار على الشرطة البريطانية المتواجدة بجوار المصنع الصغير الخاص بمصطفى أبو دهيس لكي يخلقوا انطباعا بأن مصطفى معاد للبريطانيين· كان مصطفى على علاقة جيدة بشخص يهودي من طبريا اسمه تادريس، وأعطاه هذا دكاكين له في طبريا لمنع الثوار من وضع اليد عليها، ومنحه الحق بإدارة محجراً له· كان مصطفى شرطياً مع البريطانيين، بينما خدم الآخرون في شرطة الحدود العاملة على الحدود مع لبنان أو بين الأردن والعراق·"

كان مصطفى أبو دهيس من اللوبيين القلائل الذين كانت تربطهم علاقات جيدة مع البريطانيين والمسئولين الصهاينة ورجال الأعمال اليهود· وقال حسام: "كان لعمي نفوذ وكلمة مسموعة عند البريطانيين، فقد نجح بإخراج أخيه من السجن قبل أيام على الموعد المقرر لتنفيذ حكم الإعدام فيه· كان أخوه رمزي قد قتل لوبية (هو صالح رقية) في خلاف عائلي، ونجح مصطفى بالحصول على عفو لأخيه من وزارة المستعمرات البريطانية·" وقد نُصحت قبل مقابلة رمزي في الأردن بألاّ أذكر الموضوع نهائيا نظرا لحساسيته·

حين اشتد النضال ضد البريطانيين والحركة الصهيونية، أصبحت العلاقات أو حتى مجرد الاشتباه بوجود علاقات مع هذه الأطراف مصدرا للخلافات الداخلية في القرية· طلبت قيادة الثورة من أبو طلعت، مثلاً، أن يقتل ابن أخيه مصطفى أبو دهيس لارتباطاته بالبريطانيين واليهود· إلا أنه رفض ذلك بشكل مبدئي، لأن قيامه بمثل هذه العمل كان سيؤدي إلى خلق شقاق في العائلة إلى يومنا هذا· قال أبو طلعت: "لقد راح عدة أشخاص في لوبية ضحية لمثل هذه النزاعات·"

وأضاف: "كان رجل اسمه يوسف الجليلي أصله من عرابة ويعيش في لوبية قد قُتل لاشتباه البعض بأنه يعمل لصالح العدو. وقد قُتل سليمان الفتروش لأنّه كان اعتاد الذهاب إلى معسكر الإنكليز لشرب الكحول. قتله الثوار مع رجل من عرب الدلايكة باعتبارهم خوارج." وذكر يوسف أيضا خلافًا بين شخصين من لوبية يدعيان مطلق ومصطفى. قال: "اتّهم الأول الآخر بالتجسس لصالح الانكليز، فصوب المسدس نحوه وقال: خذ هذه الرصاصة! إلاّ أن الناس تدخلوا وفكوا بينهما."

ومن الجدير التنويه أنه في مقابل هذه الروايات، لا تذكر المصادر البريطانية واليهودية الرسمية وجود عملاء في لوبية. يقول تقرير الهاغاناة عن لوبية: "كانت العلاقات بين القرويين والحكومة اعتيادية. ليس هنا مخبرين بين القرويين يعملون لصالح الحكومة."[88]

وذكر أبو ماجد الأسماء التالية من بين الرجال الذين لعبوا أدوارا رئيسية ضد البريطانيين في الأربعينات: "أحمد طوبي (أبو غازي) كان يعيش في صفورية لكن أصله من لوبية من حمولة الشناشرة، وقد توفي قبل عشرة أعوام في حادثة تحطم طائرة كانت تقل الحجاج إلى مكة. تطوع الطوبي لقتل حاكم لواء الجليل، أندروز، بسبب إساءته إلى مختار الشجرة ونعته للعرب بالكلاب. وقد كان القائد الذي اتخذ قرار اغتيال أندروز هو خليل العيسى أبو إبراهيم الكبير من المزرعة، لواء القدس. كان من أتباع الشيخ عز الدين القسام بعد لجوئه من سوريا وعمله خطيبا في مسجد الاستقلال الذي ما زال قائما في حيفا."

وأضاف: "كان أندروز يقول دوماً: لم أر مثلكم في أيٍ من المستعمرات التي خدمت فيها سوى الكلاب. إنّكم تنجبون الأطفال وترمونهم دون عناية. أنت لست مختار بل مخ طار!" قتل أندروز في الناصرة وهو في طريقه إلى الكنيسة. وقد أرسل كينيث بلاكبورن الذي خلفه إلى أمه يطمئنها قائلاً: "لا أريدك أن تقلقي علي فأنا مختلف عن لويس الذي لم يثق العرب فيه أبدا وكانوا مصممين على ضربه. كانت تربطه علاقات كثيرة غامضة باليهود

---

[88] تقرير الهاغاناة حول لوبية ١٩٤٣-١٩٤٤، مصدر سابق الذكر، هامش [redacted]. لقد أكد على ذلك أيضاً هيلل كوهن وهو باحث إسرائيلي كتب اطروحته في الجامعة العبرية عن العملاء الفلسطينيين الذي عملوا لصالح المؤسسات الصهيونية قبل العام ١٩٤٨، وقد نشرها مؤخرا في كتاب بالعبرية بعنوان: [redacted]..... وكان كوهن قد نشر قبل ذلك كتابا عن المهجرين في الداخل بعنوان: الأرض، الذاكرة، الهوية: **اللاجئون الداخليون في اسرائيل** نشر بالعربية في العام ٢٠٠٣ من قبل [redacted]

والعرب عرفوا بذلك، وكانوا يتخوفون منه أيضاً لأنه يعرف الكثير عنهم. لقد وجدت أشياء مختلفة بين أوراقه، أيّ منها يكفي لإثارة العرب."[٨٩]

[89] رسالة مؤرخة ٢٨ أيلول، ١٩٣٧، أوراق بلاكبورن، صندوق ٥، ملف ١، مقتبسا من كتاب سويدنبرغ، مصدر سابق الذكر، هامش أعلاه، ص. ٢١١.